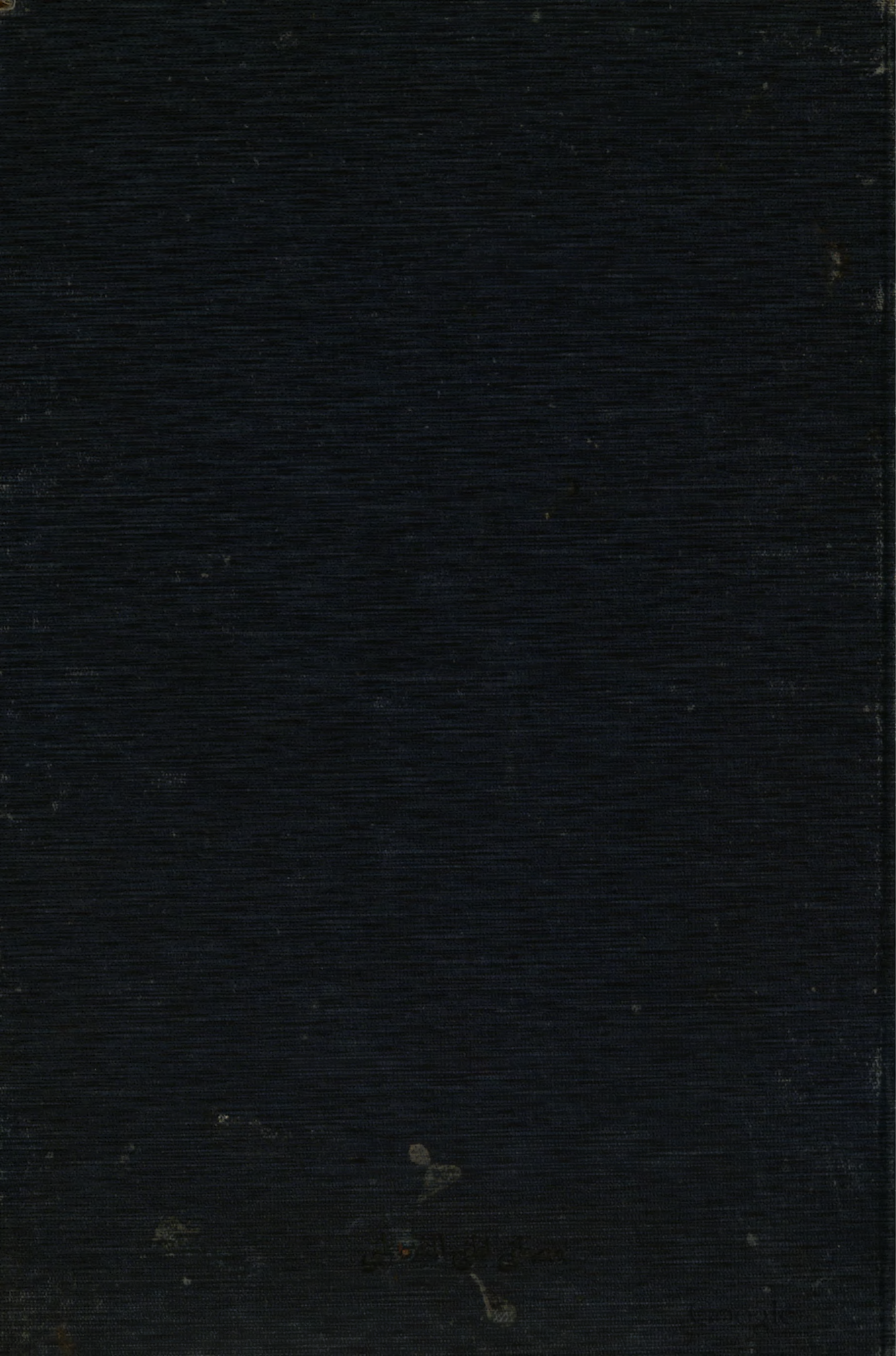
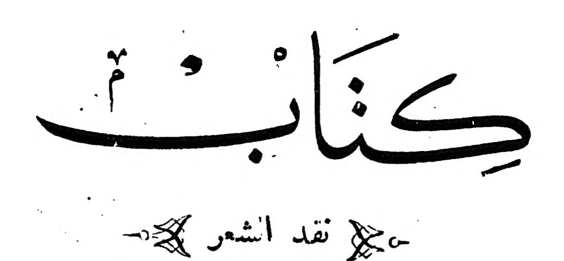



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
PAIR>
32101 020744825

Qudāmah ibn Ja'far



نقد الشعر

Kitab naqd al-shi'r

تأليف

العالم العلامه * الحبر الفهامه * ابى الفرج قدامة بن جعفر

الطبعة الاولى

طبعت برخصة نظارة المعارف الجليلة.

طبع فى مطبعة الجوائب

قسطنطينية

١٣٠٢

نقد الشعر

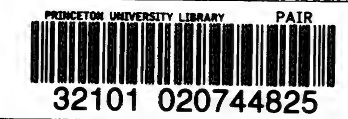
للعلامة ابى الفرج قدامة بن جعفر

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر لاتمامه

قال ابو الفرج قدامة بن جعفر العلم بالشعر ينقسم اقساما فقسم ينسب الى علم عروضه ووزنه وقسم ينسب الى علم قوافيه ومقاطعه وقسم ينسب الى علم غريبه ولغته وقسم ينسب الى علم معانيه والمقصد به وقسم ينسب الى علم جيده ورديئه • وقد عنى الناس بوضع الكتب فى القسم الاول وما يليه الى الرابع عناية تامة فاستقصوا امر العروض والوزن وامر القوافى والمقاطع وامر الغريب والنحو وتكلموا فى المعانى الدال عليها الشعر وما الذى يريد بها الشاعر ولم اجد احدا وضع فى نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا وكان الكلام عندى فى هذا القسم اولى بالشعر من سائر الاقسام المعدودة لان علم الغريب والنحو واغراض المعانى محتاج اليه فى اصل الكلام للشعر والنثر وليس هو باحدهما اولى بالآخر وعلما الوزن والقوافى وان خصا الشعر وحده فليست الضرورة داعية اليهما لسهولة وجودهما فى طباع اكثر الناس من غير تعلم • ومما يدل على ذلك ان جميع الشعر الجيد المستشهد به انما هو لمن كان قبل وضع الكتب فى العروض والقوافى ولو كانت الضرورة الى ذلك داعية لكان جميع هذا الشعر فاسدا او اكثره ثم ما نرى ايضا عن استغناء الناس عن هذ العلم بعد واضعيه الى هذا الوقت فان من يعلمه ومن لا يعلمه

ليس



ليس يعول فى شعر اذا اراد قوله الا على ذوقه دون الرجوع اليه فلا يتوكد عند الذى يعلمه صحة ذوق ما تزاحف منه بان يعرضه عليه فكان هذا العلم مما يقال فيه ان الجهل به غير ضائر وما كانت هذه حاله فليست تدعو اليه ضرورة فاما علم جيد الشعر من رديئه فان الناس يخبطون فى ذلك منذ تفقهوا فى العلوم فقليلا ما يصيبون ولما وجدت الامر على ذلك وتبينت ان الكلام فى هذا الامر اخص بالشعر من سائر الاسباب الاخر وان الناس قد قصروا فى وضع كتاب فيه رأيت ان اتكلم فى ذلك بما يبلغه الوسع فاقول

الفصل الاول

ان اول ما يحتاج اليه فى شرح هذا الامر معرفة حد الشعر الجائز عما ليس بشعر وليس يوجد فى العبارة عن ذلك ابلغ ولا اوجز مع تمام الدلالة من ان يقال فيه انه قول موزون مقفى يدل على معنى فقولنا قول دال على اصل الكلام الذى هو بمنزلة الجنس للشعر وقولنا موزون يفصله مما ليس بموزون اذ كان من القول موزون وغير موزون وقولنا مقفى فصل بين ما له من الكلام الموزون قواف وبين ما لا قوافى له ولا مقاطع وقولنا يدل على معنى يفصل ما جرى من القول على قافية وزن مع دلالة على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى فانه لو اراد مريد ان يعمل من ذلك شيئا على هذه الجهة لامكنه وما تعذر عليه فاذ قد تبين ان ذلك كذلك وان الشعر هو ما قدمناه فليس من الاضطرار اذا ان يكون ما هذه سبيله جيدا ابدا ولا رديئا ابدا بل يحتمل ان يتعاقبه الامران مرة هذه واخرى هذه على حسب ما يتفق فحينئذ يحتاج الى معرفة الجيد وتمييزه من الرديء • ولما كانت الشعر صناعة وكان الغرض فى كل صناعة اجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجويد والكمال اذ كان جميع ما يؤلف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن فله طرفان احدهما غاية الجودة والآخر غاية الرداءة وحدود بينهما تسمى الوسائط وكان كل قاصد لشئ من ذلك فانما يقصد الطرف الاجود فان كان معه من القوة فى

الصناعة ما يبلغه اياه سمي حاذقا تام الحذق فان قصر عن ذلك نزل له اسم بحسب
الموضع الذى يبلغه فى القرب من تلك الغاية والبعد عنها اذ كان الشعر ايضا
جاريا على سبيل سائر الصناعات مقصودا فيه وفى ما يحاك ويؤلف منه الى غاية
التجويد وكان العاجز عن هذه الغاية من الشعراء انما هو من ضعفت صناعته ٭
فاذ قد صح ان هذا على ما قلناه فلنذكر صفات الشعر الذى اذا اجتمعت فيه كان
فى غاية الجودة وهو الغرض الذى تنحوه الشعراء بحسب ما قدمناه من شريطة
الصناعات والغاية الاخرى والمضادة لهذه الغاية هى نهاية الرداءة ٭
واذكر اسباب الجودة واحوالها واعداد اجناسها ليكون ما يوجد من الشعر
الذى اجتمعت فيه الاوصاف المحمودة كلها وخلا من الخلال المذمومة باسرها
يسمى شعرا فى غاية الجودة وما يوجد بضد هذه الحال يسمى شعرا فى غاية
الرداءة وما يجتمع فيه من الحالين اسباب ينزل له اسما بحسب قربه من الجيد
او من الردئ او وقوعه فى الوسط الذى يقال لما كان فيه صالح اومتوسط
او لا جيد ولا ردئ فان سبيل الاوساط فى كل ما له ذلك ان تحد بسلب
الطرفين كما يقال مثلا فى الفاتر الذى هو وسط بين الحار والبارد انه لا حار
ولا بارد والمز الذى هو وسط بين الحلو والحامض انه لا حلو ولا حامض ٭
ومما يجب تقدمته وتوطيده قبل ما اريد ان اتكلم فيه ان المعانى كلها معرضة
للشاعر وله ان يتكلم منها فى ما احب وآثر من غير ان يحظر عليه معنى يروم
الكلام فيه اذ كانت المعانى للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها
كالصورة كما يوجد فى كل صناعة من انه لا بد فيها من شئ موضوع يقبل
تأثير الصور منها مثل الخشب للنجارة والفضة للصياغة وعلى الشاعر اذا
شرع فى اى معنى كان من الرفعة والضعة والرفث والنزاهة والبذخ والقناعة
والمدح وغير ذلك من المعانى الحميدة او الذميمة ان يتوخى البلوغ من التجويد
فى ذلك الى الغاية المطلوبة ٭ ومما يجب تقديمه ايضا ان مناقضة الشاعر
نفسه فى قصيدتين او كلمتين بان يصف شيئا وصفا حسنا ثم يذمه بعد ذلك
ذما حسنا بينا غير منكر عليه ولا معيب من فعله اذا احسن المدح والذم بل ذلك
عندى يدل على قوة الشاعر فى صناعته واقتداره عليها ٭ وانما قدمت هذين المعنيين

لما

لما وجدت قوما يعيبون الشعر اذا سلك الشاعر فيه هذين المسلكين فانى رأيت من يعيب امرء القيس فى قوله

* فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فألهيتها عن ذى تمائم محول *
* اذا ما بكى من خلفها انصرفت له * بشق وتحتى شقها لم يحوّل *

ويذكر ان هذا معنى فاحش وليس لفحاشة المعنى فى نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه كما لا يعيب جودة النجارة فى الخشب مثلا كرداءته فى ذاته ◆ وكذلك رأيت من يعيب هذا الشاعر ايضا فى سلوكه للمذهب الثانى الذى قدمته حيث استعمله باقتدار وقوة وتصرف فيه احسانا وحذاقة وذلك قوله فى موضع

* فلو ان ما اسعى لادنى معيشة * كفانى ولم اطلب قليل من المال *
* ولكنما اسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل امثالى *

﴿ وقوله فى موضع آخر ﴾

* فتملأ بيتنا اقطا وسمنا * وحسبك من غنى شبع ورىّ *

فان من عابه زعم انه من قبيل المناقضة حيث وصف نفسه فى موضع بسمو الهمة وقلة الرضى بدنئ المعيشة واطرى فى موضع آخر القناعة واخبر عن اكتفاء الانسان بشبعه وريه

واذ قد ذكرت ذلك فلا باس بالرد على هذا العائب فى هذا الموضع ليكون فى ما احتج به بعد التطريق لمن يؤثر النظر فى هذا العلم الى التمهر فيه فاقول انه لو تصفح اولا قول امرئ القيس حق تصفحه لم يوجد معنى ناقض معنى فالمعنيان فى الشعرين متفقان الا انه زاد فى احدهما زيادة لا تنقض ما فى الآخر وليس احد ممنوعا من الاتساع فى المعانى التى لا تتناقض وذلك انه قال فى احد المعنيين

* فلو ان ما اسعى لادنى معيشة * كفانى ولم اطلب قليل من المال *

وهذا موافق لقوله * وحسبك من غنى شبع ورى * ولكن فى المعنى الاول زيادة ليست بناقضة لشئ وهو قوله لكنى لست اسعى لما يكفينى

ولكن لمجد اؤثله فالمعنيان اللذان ينبئان عن اكتفاء الانسان
باليسير متوافقان فى الشعرين والزيادة فى الشعر الاول التى دل بها على بعد
همته ايست تنقض واحدا منهما ولا تنسخه وارى ان هذا العائب ظن ان
امرء القيس قال فى احد الشعرين ان القليل يكفيه وفى الآخر انه لا يكفيه
وقد ظهر بما قلنا ان هذا الشاعر لم يقل شيئا من ذلك ولا ذهب اليه ومع
ذلك فلو قاله وذهب اليه لم يكن عندى مخطئا من اجل انه لم يكن فى شرط
شرطه يحتاج الى ان لا ينقض بعضه بعضا ولا فى معنى سلكه فى كلمة واحدة
ايضا لم يجر مجرى العيب لان الشاعر ليس يوصف بان يكون صادقا بل انما
يراد منه اذا اخذ فى معنى من المعانى كائنا ما كان ان يجيده فى وقته الحاضر لا
ان ينسخ ما قاله فى وقت آخر ومع ما قدمته فانى لما كنت آخذا فى معنى لم
يسبق اليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة اسماء تدل عليها احتجت ان اضع
لما يظهر من ذلك اسماء اخترعتها وقد فعلت ذلك والاسماء لا منازعة فيها اذ
كانت علامات فان قنع بما وضعته من هذه الاسماء والا فليخترع كل من ابى ما
وضعته منها ما احب فانه ليس ينازع فى ذلك • واذ قدمت ما احتجت الى
تقديمه فاقول انه لما كان الشعر على ما قلناه لفظا موزونا مقفى يدل على معنى
وكان هذا الحد مأخوذا من جنس الشعر العام له وفصوله التى تحوزه عن غيره
كانت معانى هذا الجنس والفصول موجودة فيه كما يوجد فى كل محدود معانى
حده لان الانسان مثلا يحد بانه حى ناطق ميت فحيّ بمعنى الحياة التى هى جنس
الانسان الموجود فيه وهو التحرك والحس وكذلك معنى النطق الذى هو فصله مما
ليس بناطق موجود فيه وهو التخيل والذكر والفكر ومعنى الموت الذى فى
حد الانسان وهو قبول بطلان الحركة وكذلك ايضا معنى اللفظ الذى هو جنس
للشعر موجود فيه وهو حروف خارجة بالصوت متواطأ عليها وكذلك معنى
الوزن ومعنى التقفية ومعنى ما يدل عليه اللفظ فان كان ذلك كما قلنا فالشعر انما
هو ما اجتمع من هذه الاسباب التى يحيط بها حده • ولما كان كل مجتمع وكل
مؤلف من امور فالامور تؤلف من بعضها مع بعض يزيد عددها فيه وينقص
على حسب كثرة الامور وقلتها وجب ان يكون الشعر ايضا لما كان مجتمعا من

اسباب

اسباب ان تكون اقسام تأليف هذه الاسباب بعضها الى بعض جاريا هذا المجرى وان يكون تعديد هذه التأليفات اذا استوعب واضيف الى ذلك الى عدة الاسباب المفردات من غير تأليف • فقد اتى على جميع الاسباب التى يجب الكلام فيها من امر الشعر فاقول انه لما كانت الاسباب المفردات التى يحيط بها حد الشعر على ما قدمنا القول فيه اربعة وهى اللفظ والمعنى والوزن والتقفية وجب بحسب هذا العدد ان يكون لها ستة اضرب من التأليف الا انى وجدت اللفظ والمعنى والوزن تأتلف فيحدث من ائتلافها بعضها الى بعض معان يتكلم فيها ولم اجد للقافية مع واحد من سائر الاسباب الاخر ائتلافا الا انى نظرت فيها فوجدتها من جهة ما انها تدل على معنى لذلك المعنى الذى تدل عليه ائتلافا مع سائر البيت فاما مع غيره فلا لان القافية انما هى لفظة مثل لفظ سائر البيت من الشعر ولها دلالة على معنى لذلك اللفظ ايضا والوزن شئ واقع على جميع لفظ الشعر الدال على المعنى فاذا كان ذلك كذلك فقد انتظم تأليف الثلاثة الامور الاخر ائتلاف القافية ايضا اذ كانت لا تعد وانها لفظة كسائر لفظ الشعر المؤتلف مع المعنى • فاما من جهة ما هى قافية فليس ذلك ذاتا يجب بها ان يكون لها به ائتلاف مع شئ آخر اذ كانت هذه اللفظة انما قيل فيها انها قافية من اجل انها مقطع البيت وآخره وليس انها مقطع ذاتى لها وانما هى شئ عرض لها بسبب انه لم يوجد بعدها لفظ من البيت غيرها وليس الترتيب وان لا يوجد للشئ تال يتلوه ذاتا قائمة فيه فهذا هو السبب فى انه لم يكن للقافية من جهة ما هى قافية تأليف مع غيرها • فاما من جهة ما تدل عليه فان ذلك تأليف معنى الى ما يتألف الا انى نسبته فى هذا الكتاب الى القافية على سبيل التسمية وان اراد مريد الى ان ينسب ذلك الى انه تأليف معنى القافية الى ما يتألف معه لم اضايقه فصار ما احدث من اقسام ائتلاف بعض هذه الاسباب الى بعض اربعة وهى ائتلاف اللفظ مع المعنى وائتلاف اللفظ مع الوزن وائتلاف المعنى مع الوزن وائتلاف المعنى مع القافية وصارت اجناس الشعر ثمانية وهى الاربعة المفردات البسائط التى يدل عليها حده والاربعة المؤلفات منها • ولما كان لكل واحد من هذه الثمانية صفات يمدح بها واحوال يعاب من اجلها وجب ان يكون

جيد ذلك ورديئه لاحقين للشعر اذ كان ليس يخرج شيء منه عنهما فلنبدأ بذكر اوصاف الجودة فى كل واحد منها ليكون مجموع ذلك اذا اجتمع للشعر كان فى نهاية الجودة واذا لم يكن فيه شيء منها كان فى نهاية الرداءة لا محالة اذ كان هذان الطرفان مشتملين على جميع النعوت او العيوب التى نذكرها ولما لم يكن كل شعر جامعا جميع النعوت او العيوب وجب ان تكون الوسائط التى بين المدح والذم تشتمل على صفات محمودة وصفات مذمومة فما كان فيه من النعوت اكثر كان الى الجودة اميل وما كان فيه من العيوب اكثر كان الى الرداءة اقرب وما تكافأت فيه النعوت والعيوب كان وسطا بين المدح والذم وتنزيل ذلك اذا حضر ما فى الطرفين من النعوت والعيوب لا يبعد على من اعمل الفكر واحسن سبر الشعر

الفصل الثانى

فلنبدأ من ذكر الاجناس الثمانية باولها من الاربعة المفردات وهو اللفظ ونذكر نعوت ذلك و نعوت سائر الاجناس ونجعل هذا الفصل مقصورا على ذكر النعوت

نعت اللفظ

ان يكون سمحا سهل مخارج الحروف من مواضعها عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة مثل اشعار يوخذ فيها ذلك وان خلت من سائر النعوت للشعر منها ابيات من تشبيب قصيدة للحادرة الذبيانى وهى

* وتصدقت حتى استبتك بواضح * صلت كمنتصب الغزال الاتلع *
* وبمقلتى حوراء تحسب طرفها * وسنان حرة مستهل المدمع *
* واذا تنازعك الحديث رأيتها * حسنا تبسمها لذيذ المكرع *
* كغريض سارية تنفحه الصبا * بنزيل اسحر طيب المستنقع *
* لعب السيول به فاصبح ماؤه * عللا يقطع فى اصول الخروع *
* فسمى ويحك هل علمت بفتية * غاديت لذتهم بادكن مترع *
* بكروا على بسحرة فصبحتهم * من عاتق كدم الذبيح مشعشع *

ومن

ومن هذا الجنس قول محمد بن عبد الله السلامانى

* ألا ربما هاجت لك الشوق عرصة * بمرواز تمريها الرياح الزعازع *
* بها رسم اطلال وجثم خواشع * عليهن تبكى الهاتفات السواجع *
* وبيض تهادى فى الرياط كأنها * مها ربوة طابت لهن المراتع *
* تحرين منا موعدا بعد رقبة * باعقر تعلوه الشروح الدوافع *
* فجئن هدوا والثياب كأنها * من الطل بلتها الرهام النواشع *
* طروقا وأجانا الهوى نحو ربوة * بها غفلت عنا العيون الخوادع *
* فلما قضينا غصة من عتابنا * وقد فاض من بعد العتاب المدامع *
* جرى بيننا منا رسيس يزيدنا * سقاما اذا ما استيقنته المسامع *
* قليلا وكان الليل فى ذاك ساعة * وقن ومعروف من الصبح صادع *
* وولين من وجد بمثل الذى بنا * وسالت على آثارهن المدارع *
* يزجين بكرا يبهر الريط متنها * كما مار ثعبان الفضا المتدافع *
* وقن الى خوض كأن عيونها * قلات تراخى ماؤها فهو ناصع *

ومنه بيتان للشماخ يذكر نهيق الحمار

* اذا نبر التقشير نبرا كانه * بقارحة من خلف ناجذه شجى *
* بعيد مدى التطريب اول صوته * سحيل وادناه شحيج محشرج *

ومنه ابيات لجبها الاشجعى

* أمن الجميع بذى اليفاع ربوع * راعت فؤادك والربوع تروع *
* من بعد ما بليت وغير آيها * قطر ومسألة الذيول خديع *
* جوالة بربى الملا غزلية * برغاهن مربة زعزوع *
* يا صاحبى ألا ارفعانى انه * يشفى الصداع فيذهل المرفوع *
* ألواح ناجية كأن قليلها * جذع تطيف به الرقاة منيع *
* تنجو اذا نجدت وعارض اوبها * اشلاء لحن من النياط خضوع *
* فى كل مطرد الزفق كأنه * نسر يرنق قد دهاه وقوع *
* عرين دائرة الظئيرة بعدما * وغرن والحدق الكنين خشوع *

* بأمق اغبر يلتقى حنانه * للريح بين فروعه ترجيع *
* يعتس منزلهن اطلس جائع * طياب يتلف ماله ويضيع *

﴿ ومثله ايضا ﴾

* ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح *
* وشدت على دهم المهارى رحالها * ولم ينظر الغادى الذى هو رائح *
* اخذنا باطراف الاحاديث بيننا * وسالت باعناق المطى الاباطح *

نعت الوزن

ان يكون سهل العروض من اشعار يوجد فيها وان خلت من اكثر نعوت الشعر ﴿ منها قصيدة حسان ﴾

* ما هاج حسان رسوم المقام * ومظعن الحى ومبنى الخيام *
* والنؤى قد هدم اعضاده * تقادم العهد بواد تهام *
* قد ادرك الواشون ما املوا * والحبل من شعثاء رث الرمام *
* كأن فاها ذهب بارد * فى رصف تحت ظلال الغمام *

﴿ ومنها قصيدة طرفة ﴾

* من عائدى الليلة ام من نصيح * بت بنصب ففؤادى قريح *
* بانت فامسى قلبه هائما * قد شفه وجد بها ما يريح *
* فى سلف ارعن منفجر * يقدم اولى ظعن كالطلوح *
* عالين رقما فاخرا لونه * من عبقرى كنجيع الذبيح *

﴿ ومثله ابيات المخل بن عبيد اليشكرى ﴾

* ولقد دخلت على الفتاة الخدر فى اليوم المطير *
* الكاعب الحسناء ترفل فى الدمقس وفى الحرير *
* فدفعتها فتدافعت * مشى القطاة الى الغدير *
* وعطفتها فتعطفت * كتعطف الغصن النضير *
* ولثمتها فتنفست * كتنفس الظبى الغرير *
* ولقد شربت من المدامة بالكبير وبالصغير *

فاذا

فاذا سكرت فانني * رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني * رب الشويهة والبعير

﴿ ومثله ابيات كعب بن الاشرف اليهودى ﴾

رب خال لى لو ابصرته * سبط المشية اباء انف
لين الجانب فى اقربه * وعلى الاعداء سم كالزعف
وانا بئر رواء جمة * تخرج النمل كأمثال الاكف
وضرير من مجال خلته * آخر الليل اهاريج تدف

﴿ ومن نعوت الوزن الترصيع ﴾ وهو ان يتوخى فيه تصيير مقاطع الاجزاء فى البيت على سجع او شبيه به او من جنس واحد فى التصريف كما يوجد ذلك فى اشعار كثير من القدماء المجيدين من الفحول وغيرهم وفى اشعار المحدثين المحسنين منهم فمما جاء فى اشعار القدماء قول امرئ القيس الكندى

مخش مجش مقبل مدبر معا * كتيس ظباء الحلب الغدوان

فاتى باللفظتين الاوليين مسجوعتين فى تصريف واحد وبالتاليتين لهما شبيهتين بهما فى التصريف وربما كان السجع ليس فى لفظة ولكن فى لفظتين بالحرف نفسه كقوله

ألس الضروس حنى الضاوع تبوع طاوب نشيط اشر

﴿ وفى قصيدة اخرى سجع فى لفظتين لفظتين بالحرف نفسه مثل قوله ﴾

واوتاده ماذية وعماده * ردينية فيها اسنة قعضب

﴿ وقال زهير بن ابى سلمى ﴾

كبداء مقبلة وزكاء مدبرة * قوداء فيها اذا استعرضتها خضع

فاتى بفعلاء مفعلة تجنيسا للحروف بالاوزان ﴿ وقال اوس بن حجر ﴾

جشا حناجرها علما مشافرها * تثن اولادها فى دحض ايضاح

﴿ وقال طرفة ﴾

بطئ عن الجلى سريع الى الخنا * ذلول باجماع الرجال ملهد

﴿ وقال عمرو بن احمر الباهلى ﴾

* فمثلك أاوى بالفؤاد وزار بالعداد واصحى فى الحياة واسكرا *

﴿ وقال النمر بن تولب ﴾

* من صوب سارية علت بغادية * تنهل حتى يكاد الصبح يحجاب *

﴿ وقال ﴾

* طويل الذراع قصير الكراع يواشك فى السبسب الاغبر *

﴿ وقال اللعين المنقرى ﴾

* مكيث اذا استرخى كميش اذا انتحى * على القرب الاقصى وشد له الازرا *

﴿ وقال الاسود بن يعفر ﴾

* هم الاسرة الدنيا وهم عدد الحصا * واخواننا من امنا وابيننا *

﴿ وقال ابو زبيد الطائى ﴾

* غير فاش شتما ولا مخلف طعما اذا كان بالسديف السبيك *

﴿ وقال الافوه الازدى ﴾

* سود غدائرها بلج محاجرها * كأن اطرافها لما اجتلى الطنف *

﴿ وقال العجير بن عبد الله السلولى ﴾

* جم الذرى مرسلة منه العرى * وزجلات الرعد فى غير صعق *

﴿ وقال سليك بن سلكة ﴾

* اذا اسهلت جنت وان احزنت مشت * وتغشى بها بين البطون وتصدف *

﴿ وقال الشماخ ﴾

* رعين الندى حتى اذا وقد الحصى * ولم يبق من نوء السماك بروق *

﴿ وقال عبيد الراعى ﴾

* ضعاف القوى ليسوا كمن يبتنى العلى * جعاسيس قصارون دون المكارم *

﴿ وقال ايضا ﴾

* سود معاصمها جعد معاقصها * قد مسها من عقيد القار تفصيل *

وقال

﴿ وقال بشامة بن عمرو بن الغدير ﴾

* هوان الحياة وخزى الممات وكلا اراه طعاما وبيلا *

﴿ وقالت ليلى الاخيلية ﴾

* وقد كان مرهوب السنان وبين اللسان ومجذام السرى غير فاتر *

﴿ وقال ناهض بن توبة الكلابى ﴾

* صخوب الصدى ظمأى القطا مرة السرى * ركا ماؤها بين النمام الخرائش *

واكثر الشعراء المصيبين من القدماء والمحدثين قد غزوا هذا المغزى ورموا هذا المرمى وانما يحسن اذا اتفق له فى البيت موضع يليق به فانه ليس فى كل موضع يحسن ولا على كل حال يصلح ولا هو ايضا اذا تواتر واتصل فى الابيات كلها بمحمود فان ذلك اذا كان دل على تعمد وابان عن تكلف على ان من الشعراء القدماء والمحدثين من قد نظم شعره كله ووالى بين ابيات كثيرة منه منهم ابو صخر الهذلى فانه اتى من ذلك بما يكاد لجودته ان يقال فيه انه غير متكلف وهو قوله

* وتلك هيكلة خود مبتلة * صفراء رعبلة فى منصب سنم *
* عذب مقبلها جذل مخلخلها * كالدعص اسفلها مخضودة القدم *
* سود ذوائبها بيض ترائبها * محض ضرائبها صيغت على الكرم *
* عبل مقيدها حال مقلدها * بض مجردها لفاء فى عمم *
* سمح خلائقها درم مرافقها * يروى معانقها من بارد الشبم *
* كأن معتقة فى الدن مغلقة * صهباء مصفقة من رأس ردم *
* شيبت بمرهبة من رأس مرقبة * جرداء سلهبة فى حالق شمم *
* خالط طعم ثناياها وريقتها * اذا يكون توالى النجم كالنظم *

﴿ ومنهم ابو المثلم فانه قال ﴾

* لو كان للدهر مال كان متلده * لكان للدهر صخر مال فتيان *
* آبى الهضيمة ناء بالعظيمة متلاف الكريمة جلد غير ثنيان *
* حامى الحقيقة بسال الوديعة معتاق الوسيقة لا نكس ولا وانى *

* رباء مرقبة مناع مغلبة * وهاب سلهبة قطاع اقران *
* هباط اودية حمال ألوية * شهاد اندية سرحان فتيان *
* يعطيك ما لا تكاد النفس ترسله * من التلاد وهوب غير منان *

ومثل ذلك للمحدثين ايضا كثير وانما يذهبون في هذا الباب الى المقاربة بين الكلام بما يشبه بعضه بعضا فانه لا كلام احسن من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد كان يتوخى فيه مثل ذلك فمنه ما روى عنه عليه السلام من انه عوذ الحسن والحسين عليهما السلام فقال اعيذهما من السامه والهامه وكل عين لامه وانما اراد ملمه فلاتباع الكلمة اخواتها في الوزن قال لامه وكذلك ما جاء عنه صلى الله عليه وآله انه قال خير المال سكة مأبوره ومهرة مأموره فقال مأموره من اجل مأبوره والقياس مؤمره * وجاء في الحديث يرجعن مأزورات غير مأجورات واذا كان هذا مقصودا له في الكلام المنثور فاستعماله في الشعر الموزون اقمن واحسن

﴿ نعت القوافي ﴾

ان تكون عذبة الحرف سلسة المخرج وان تقصد لتصيير مقطع المصراع الاول في البيت الاول من القصيدة مثل قافيتها فان الفحول والمجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك ولا يكادون يعدلون عنه وربما صرعوا ابياتا اخر من القصيدة بعد البيت الاول وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره واكثر من كان يستعمل ذلك امرؤ القيس لمحله من الشعر فمنه قوله

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل *

﴿ ثم اتى بعد هذا البيت بابيات فقال ﴾

* أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد ازمعت صرمي فأجملي *

﴿ ثم اتى بابيات بعد هذا البيت فقال ﴾

* ألا ايها الليل الطويل ألا انجلي * بصبح وما الاصباح فيك بأمثل *

﴿ وقال في قصيدة اخرى اولها ﴾

* ألا انعم صباحا ايها الطلل البالي * وهل ينعمن من كان في العصر الخالي *

وقال

﴿ وقال بعد بيتين ﴾

* ديار لسلمى عافيات بذى الخال * ألح عليها كل اسحم هطال *

﴿ ثم قال بعد ابيات اخر ﴾

* ألا انى بال على جمل بالى * يقود بنا بال ويتبعنا بالى *

﴿ وقال في قصيدة اخرى اولها ﴾

* غشيت ديار الحى بالبكرات * فعارمة فبرقة العبرات *

﴿ ثم قال بعد بيتين ﴾

* اعنى على الهيام والذكرات * يبتن على التذكار معتكرات *

﴿ وقال في قصيدة اخرى اولها ﴾

* عيناك دمعهما سجال * كأن شأنيهما وشال *

﴿ وقال بعد ابيات ﴾

* قلوب خزان ذى اورال * قوتا كما ترزق العيال *

وقد سلك هذا السبيل غير امرئ القيس شعراء كثيرون فمنهم اوس قال فى قصيدة اولها

* ودع لميس وداع الصارم اللاحى * قد فنكت فى فساد بعد اصلاح *

﴿ ثم قال ﴾

* انى اورقت ولم تأرق معى صاح * لمستكين بعيد النوم لواح *

﴿ ومنهم مرقش قال فى قصيدة اولها ﴾

* أمن رسم دار ماء عينيك يسفح * غدا من مقام اهله وتروحوا *

﴿ ثم قال ﴾

* أمن بنت عجلان الخيال المطرح * ألم ورحلى ساقط متزحزح *

﴿ وقال حسان بن ثابت قصيدة اولها ﴾

* ألم تسال الربع الجديد التكلما * بمدفع اشداخ فبرقة اكتما *

﴿ وقال فى البيت التالى لهذا ﴾

* ابى رسم دار الحى ان يتكلما * أينطق بالمعروف من كان ابكما *

﴿ وقال الشماخ قصيدة اولها ﴾

* ألا ناديا اظعان ليلى بعرج * يهيجن شوقا ليته لم يهيج *

﴿ ثم قال بعد ابيات ﴾

* ألا ادلجت ليلاك من غير مدلج * هوى نفسها اذ ادلجت لم تعرج *

﴿ وقال عبيد بن الابرص قصيدة اولها ﴾

* اقفر من اهله ملحوب * فالقطبيات فالذنوب *

﴿ ثم قال بعد ابيات ﴾

* ارض توارثها شعوب * فكل من حلها محروب *

﴿ ثم قال بعد ابيات ﴾

* والمرء ما عاش فى تكذيب * طول الحياة له تعذيب *

﴿ وقال الراعى قصيدة اولها ﴾

* ابت آيات حبى ان تبينا * لنا خبرا فابكين الحزينا *

وربما اغفل بعض الشعراء التصريع فى البيت الاول فاتى به فى بعض من القصيدة فيما بعد ﴿ قال ابن احمر الباهلى قصيدة اولها ﴾

* قد بكرت عاذ اتى بكرة * تزعم انى بالصبا مشتهر *

﴿ فلم يصرع اول القصيدة واتى ببيتين بعد الاول ثم قال ﴾

* بل ودعينى طفل انى بكر * وقد دنا الصبح فما انتظر *

﴿ وقال ايضا من قصيدة اولها ﴾

* لعمرك ما خلفت الا لما ترى * وراء رجال اسلمونى لما بيا *

﴿ فاتى بالاول غير مصرع ثم قال بعد ابيات ﴾

* فامسى جناب الشول اغبر كابيا * وامسى جناب الحى ابلج واريا *

﴿ وقال امية بن حرثان بن الاسعر الكنانى قصيدة اولها ﴾

* اصبحت هزءا لراعى الضان اعجبه * ماذا يريبك منى راعى الضان *

فلم

﴿ فلم يصرع اول بيت واتى بعده ببيت واحد قال فيه ﴾

* يا ابنى امية انى عنكما غانى * وما الغنى غير انى مشعر فانى *

وانما يذهب الشعراء المطبوعون المجيدون الى ذلك لان بينة الشعر انما هى التسجيع والتقفية فكلما كان الشعر اكثر اشتمالا عليه كان ادخل له فى باب الشعر واخرج له عن مذهب النثر

باب المعانى الدال عليها الشعر

جامع الوصف لذلك ان يكون المعنى مواجها للغرض المقصود غير عادل عن الامر المطلوب ولما كانت اقسام المعانى التى يحتاج فيها الى ان تكون على هذه الصفة مما لا نهاية لعديده ولم يمكن ان يؤتى على تعديد جميع ذلك ولا ان يبلغ آخره رأيت ان اذكر منه صدرا ينبئ عن نفسه ويكون مثالا لغيره وعبرة لما لم اذكره وان اجعل ذلك فى الاعلام من اغراض الشعراء وما هم عليه اكثر حوما وعليه اشد روما وهو المديح والهجاء والنسيب والمراثى والوصف والتشبيه واقدم امام كلامى فى هذه الاقسام قولا يحتاج الى تقديمه وهو انى رأيت الناس مختلفين فى مذهبين من مذاهب الشعر وهما الغلو فى المعنى اذا شرع فيه والاقتصار على الحد الاوسط فيما يقال منه واكثر الفريقين لا يعرف من اصله ما يرجع اليه ويتمسك به ولا من اعتقاد خصمه ما يدفعه ويكون ابدا مضيادا له لكنهم يخبطون فى ظلماء مرة يعمد احد الفريقين الى ما كان من جنس قول خصمه فيعتمده ومرة يقصد ما جانس قوله فى نفسه فيدفعه ويعتقد نقضه وقد شهدت انا من هذه وله بسبب قوما يقولون ان قول مهلهل بن ربيعة

* فلولا الريح اسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور *

خطأ من اجل انه كان بين موضع الرقة التى ذكرها وبين حجر مسافة بعيدة جدا وكذلك يقولون فى قول النمر بن تولب

* ابقى الحوادث والايام من نمر * اشباه سيف قديم اثره بادى *

* تظل تحفر عنه ان ضربت به * بعد الذراعين والساقين والهادى *

﴿ وكذلك فى قول ابى نواس ﴾

* واخفت اهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف التى لم تخلق *

ثم رأيت هؤلاء باعيانهم فى وقت آخر يستحسنون ما يرون من طعن النابغة على حسان بن ثابت رضى الله عنه فى قوله

* لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى * واسيافنا يقطرن من نجدة دما *

وذلك انهم يرون موضع الطعن على حسان فى قوله الغر وكان ممكنا ان يقول البيض لان الغرة بياض قليل فى لون آخر غيره وقالوا فلو قال البيض لكان اكثر من الغرة وفى قوله يلمعن بالضحى ولو قال بالدجى لكان احسن وفى قوله واسيافنا يقطرن من نجدة دما قالوا ولو قال يجرين لكان احسن اذ كان الجرى اكثر من القطر فلو انهم يحصلون مذاهبهم لعلموا ان هذا المذهب فى الطعن على شعر حسان غير المذهب الذى كانوا معتقدين له من الانكار على مهلهل والنمر وابى نواس لان المذهب الاول انما هو لمن انكر الغلو والثانى لمن استجاده فان النابغة على ما حكى عنه لم يرد من حسان الا الافراط والغلو بتصيير مكان كل معنى وضعه ما هو فوقه وزايد عليه وعلى ان من انعم النظر علم ان هذا الرد على حسان من النابغة كان او من غيره خطأ وان حسانا مصيب اذ كانت مطابقة المعنى بالحق فى يده وكان الراد عليه عادلا عن الصواب الى غيره • فمن ذلك ان حسانا لم يرد بقوله الغر ان يجعل الجفان بيضا فاذا قصر عن تصيير جميعها بيضا نقص ما اراده لكنه اراد بقوله الغر المشهورات كما يقال يوم اغر ويد غراء وليس يراد البياض فى شئ من ذلك بل يراد الشهرة والنباهة • واما قول النابغة فى يلمعن بالضحى وانه لو قال بالدجى لكان احسن من قوله بالضحى اذ كل شئ يلمع بالضحى فهذا خلاف الحق وعكس الواجب لانه ليس يكاد يلمع بالنهار من الاشياء الا الساطع النور الشديد الضياء فاما الليل فاكثر الاشياء مما له ادنى نور وايسر بصيص يلمع فيه فمن ذلك الكواكب وهى بارزة لنا مقابلة لابصارنا دائما تلمع

بالليل

بالليل ويقل لمعانها بالنهار حتى تخفى وكذلك السرج والمصابيح ينقص نورها كلما اضحى النهار وفى الليل تلمع عيون السباع لشدة بصيصها وكذلك اليراع حتى تخال نارا • فاما قول النابغة او من قال ان قوله فى السيوف يجرين خير من قوله يقطرن لان الجرى اكثر من القطر فلم يرد حسان الكثرة وانما ذهب الى ما يلفظ به الناس ويعتادونه من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بان يقولوا سيفه يقطر دما ولم يسمع سيفه يجرى دما ولعله لو قال يجرين دما يعدل عن المألوف المعروف من وصف الشجاع النجد الى ما لم تجر عادة العرب بوصفه • فلنرجع الى ما بدأنا بذكره من الغلو والاقتصار على الحد الاوسط فاقول ان الغلو عندى اجود المذهبين وهو ما ذهب اليه اهل الفهم بالشعر والشعراء قديما وقد بلغنى عن بعضهم انه قال احسن الشعر اكذبه وكذا نرى فلاسفة اليونانيين فى الشعر على مذهب لغتهم ومن انكر على مهلهل والنمر وابى نواس قولهم المتقدم ذكره فهو مخطئ لانهم وغيرهم ممن ذهب الى الغلو انما ارادوا به المبالغة والغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل فى باب المعدوم فانما يريد به المثل وبلوغ النهاية فى النعت وهذا احسن من المذهب الآخر فان قول النابغة فى معنى قول النمر على مذهب الاقتصار ولزوم الحد الاوسط

* وقد ابقت صروف الدهر منى * كما ابقت من السيف اليمانى *

دون قول النمر دليلا قويا على ان ما بقى منه اكثر مما بقى من النابغة وكذلك قول كعب بن مالك الانصارى فى معنى قول مهلهل ووصفه صوت الضرب

* من سره ضرب يرعبل بعضه * بعضا كمعمعة الاباء المحرق *

دون قول مهلهل لان فى قول مهلهل ما يدل على ان الضرب الذى ذكره اشد وابلغ وكذلك قول الحزين الكنانى فى معنى قول ابى نواس

* يغضى حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم *

دون قول ابى نواس لان هذا وان كان قد وصف صاحبه بما دل على مهابته فان فى قول ابى نواس دليلا على عموم المهابة ورسوخها فى قلب الشاهد والغائب وفى قوله حتى انه لتهابك قوة لتكاد تهابك وكذا كل غال مفرط فى

الغلو اذا اتى بما يخرج عن الموجود فانما يذهب فيه الى تصييره مثلا وقد
احسن ابو نواس حيث اتى بما ينبئ عن عظم الشئ الذى وصفه * واذ قدمت
ما اردت تقديمه فلنرجع الى ذكر واحد واحد من المعانى الستة التى قلت
انها الاعلام من اغراض الشعراء فى المعانى فابدأ اولا بذكر المديح

﴿ نعت المديح ﴾ ما احسن ما قال عمر بن الخطاب فى وصف زهير حيث قال
انه لم يكن يمدح الرجل الا بما يكون للرجال فانه فى هذا القول اذا فهم وعمل به
منفعة عامة وهى العلم بانه اذا كان الواجب ان لا يمدح الرجال الا بما يكون
لهم وفيهم فكذا يجب ان لا يمدح شئ غيرهم الا بما يكون له وفيه وبما يليق
به ولا ينافره ومنفعة اخرى ثانية وهى توكيد ما قلنا فى اول كلامنا فى
المعانى من ان الواجب فيها قصد الغرض المطلوب على حقه وترك العدول
عنه الى ما لا يشبهه * ولما كان المدح اسما مشتركا لمدح الرجال وغيرهم عمه
بالقول فى مدح الرجال اذ كان غرض الشعراء انما هو مدحهم الا ما يستعملون
من اوصاف النساء فان ذلك له قسم آخر سنأتى به فى ما بعد ان شاء الله
تعالى وعلمنا لمن اخذنا فى التعريف بجودة مدح الرجال كيف يكون فقد يتوسل
من حواشى قولنا فى هذا الباب كيف يسلك السبيل الى مدح غيرهم فنقول
انه لما كانت فضائل الناس من حيث انهم ناس لا من طريق ما هم مشتركون
فيه مع سائر الحيوان على ما عليه اهل الالباب من الاتفاق فى ذلك انما هى
العقل والشجاعة والعدل والعفة كان القاصد لمدح الرجال بهذه الاربع
الخصال مصيبا والمادح بغيرها مخطئا وقد يجوز فى ذلك ان يقصد الشاعر
للمدح منها بالبعض والاغراق فيه دون البعض مثل ان يصف الشاعر انسانا
بالجود الذى هو احد اقسام العدل وحده فيغرق فيه ويتفنن فى معانيه او بالنجدة
فقط فيعمل فيها مثل ذلك او بهما او يقتصر عليهما دون غيرهما فلا يسمى مخطئا
لاصابته فى مدح الانسان ببعض فضائله لكن يسمى مقصرا عن استعمال جميع
المدح فقد وجب ان يكون على هذا القياس المصيب من الشعراء من مدح
الرجال بهذه الخلال لا بغيرها والبالغ فى التجويد الى اقصى حدوده من استوعبها
ولم يقتصر على بعضها وذلك كما قال زهير بن ابى سلمى فى قصيدة

* اخى ثقة لا تهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله *

فوصفه فى هذا البيت بالعفة لقلة امعانه فى اللذات وانه لا ينفد ماله فيها وبالسخاء لاهلاكه ماله فى النوال وانحرافه الى ذلك عن اللذات وذلك هو العدل ثم قال

* تراه اذا ما جئته متهللا * كانك معطيه الذى انت سائله *

فزاد فى وصف السخاء بان جعله يهش له ولا يلحقه مضض ولا تكره لفعله ثم قال

* فمن مثل حصن فى الحروب ومثله * لانكار ضيم او لخصم يجادله *

فاتى فى هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل فاستوعب زهير فى ابياته هذا المديح بالاربع الخصال التى هى فضائل الانسان على الحقيقة وزاد فى ذلك ما هو وان كان داخلا فى هذه الاربع فكثير من الناس لا يعلم وجه دخوله فيها حيث قال اخى ثقة صفه له بالوفاء والوفاء داخل فى الفضائل التى قدمنا ذكرها • وقد تفنن الشعراء فى المديح بان يصفوا حسن خلقة الانسان ويعددوا انواع الاربع الفضائل التى قدمنا ذكرها واقسامها واصناف تركيب بعضها مع بعض وما اقل من يشعر بان ذلك داخل فى الاربع الخلال على الانفراد او بالتركيب الا اهل الفهم مثل ان يذكروا من اقسام العقل ثقابة المعرفة والحياء والبيان والسياسة والكفاية والصدع بالحجة والعلم والحلم عن سفاهة الجهلة وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى • ومن اقسام العفة القناعة وقلة الشره وطهارة الازار وغير ذلك مما يجرى مجراه • ومن اقسام الشجاعة الحماية والدفاع والاخذ بالثأر والنكاية فى العدو والمهابة وقتل الاقران والسير فى المهامه الموحشة وما اشبه ذلك • ومن اقسام العدل السماحة ويرادف السماحة التغابن وهو من انواعها والانظلام والتبرع بالنائل واجابة السائل وقرى الاضياف وما جانس ذلك • فاما تركيب بعضها مع بعض فيحدث منه ستة اقسام • اما ما يحدث عن تركيب العقل مع الشجاعة فالصبر على الملمات ونوازل الخطوب والوفاء بالايعاد وعن تركب العقل مع السخاء فانجاز الوعد وما اشبه ذلك وعن تركب العقل والعفة فالرغبة عن المسألة والاقتصار على ادنى معيشة وما اشبه ذلك وعن تركب الشجاعة مع السخاء الاتلاف والاخلاف

وما اشبه ذلك وعن تركب الشجاعة مع العفة انكار الفواحش والغيرة على الحرم وعن السخاء مع العفة الاسعاف بالقوت والايثار على النفس وما شاكل ذلك وجميع هذه التركيبات قد ذكرها الشعراء فى اشعارهم وساذكر من جيد ما قالوه فى ذلك صدرا ان شاء الله تعالى الا انى ابدأ قبل ذلك فاقول

ان كل واحدة من الفضائل الاربع المتقدم ذكرها وسط بين طرفين مذمومين وقد وصف شعراء مصيبون متقدمون قوما بالافراط فى هذه الفضائل حتى زال الوصف الى الطرف المذموم وليس ذلك منهم الا كما قدمنا القول فيه فى باب الغلو فى الشعر من ان الذى يراد به انما هو المبالغة والتمثيل لا حقيقة الشئ • ومن الاخبار التى يحتاج الى ذكرها وشرح الحال فيها ليكون ذلك مثالا يبنى الامر عليه ويعلم به ما يأتى من مثله ان كثيرا انشد عبد الملك بن مروان

* على ابن ابى العاصى دلاص حصينة * اجاد المرئ نسجها واذالها *
* يود ضعيف القوم حمل قتيرها * ويستظلع القرم الاشم احتمالها *

فقال له عبد الملك قول الاعشى لقيس بن معدى كرب احسن من قولك حيث يقول له

* واذا تجئ كتيبة ملمومة * شهباء يخشى الرائدون نهالها *
* كنت المقدم غير لابس جنة * بالسيف تضرب معلما ابطالها *

فقال يا امير المؤمنين وصفتك بالحزم ووصف الاعشى صاحبه بالخرق • والذى عندى فى ذلك ان عبد الملك اصح نظرا من كثير الا ان يكون كثير غالط واعتذر بما يعتقد خلافه لانه قد تقدم من قولنا فى ان المبالغة احسن من الاقتصار على الامر الوسط بما فيه كفاية والاعشى بالغ فى وصف الشجاعة حيث جعل الشجاع شديد الاقدام بغير جنة على انه وان كان لبس الجنة اولى بالحزم واحق بالصواب ففى وصف الاعشى دليل قوى على شدة شجاعة صاحبه لان الصواب له ولا لغيره الا لبس الجنة وقول كثير تقصير فى الوصف • فلنرجع الى ذكر مدائح الشعراء المحسنين ثم نأتى بعد

ذلك

ذلك بصدر يشتمل على افتنانهم فى المدح ليكون مثالا لما تقدم الاخبار عنه وعبرة فى اختيارات المديح ﴿ فمن ذلك قول زهير بن ابى سلمى ﴾

* يطلب شأو امرئين قدما حسنا * نالا الملوك وبذا هذه السوقا *
* هو الجواد فان يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا *
* او يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ما قدما من صالح سبقا *

﴿ ومن هذه القصيدة ﴾

* من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة منه والندى خلقا *
* ليث بعثر يصطاد الرجال اذا * ما كذب الليث عن اقرانه صدقا *
* يطعنهم ما ارتموا حتى اذا طعنوا * ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا *
* فضل الجواد على الخيل البطاء فلا * يعطى بذلك ممنونا ولا نزقا *
* هذا وليس كمن يعيا بخطبته * وسط الندىّ اذا ما ناطق نطقا *
* لو نال حىّ من الدنيا بمكرمة * افق السماء لنالت كفه الافقا *

﴿ ومن اخرى له ﴾

* هنالك ان يستخبلوا المال يخبلوا * وان يسألوا يعطوا وان ييسروا يغلوا *
* وفيهم مقامات حسان وجوهها * واندية ينتى بها القول والفعل *
* فان جئتهم ألفيت حول بيوتهم * مجالس قد يشفى باحلامها الجهل *
* على مكثريهم حق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل *
* سعى بعدهم قوم لكى يدركوهم * فلم يدركوا ولم يلاموا ولم يألوا *
* فما كان من خير اتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل *
* وهل ينبت الخطىّ الا وشيجه * وتغرس الا فى منابتها النخل *

﴿ ولزهير يمدح بنى الصيداء ﴾

* انى سترحل بالمطىّ قصائدى * حتى تحل على بنى ورقاء *
* مدحا لهم يتوارثون ثناءها * رهن لآخرهم بطول بقاء *
* حلماء فى النادى اذا ما جئتهم * جهلاء يوم عجاجة ولقاء *
* من سالموا نال الكرامة كلها * او حاربوا ألوى مع العنقاء *

﴿ وله ﴾

* ان البخيل ملوم حيث كان ولكن الجواد على علاته هرم *
* هو الجواد الذى يعطيك نائله * عفوا ويظلم احيانا فينظلم *

﴿ ومن ذلك قول الحطيئة فى بنى بغيض ﴾

* وان التى نكبتها عن معاشر * علىّ غضاب ان صددت كما صدوا *
* اتت آل شماس بن لأى وانما * اتاهم بها الاحلام والحسب العد *

﴿ ومنها ﴾

* يسوّسون احلاما بعيد اناتها * وان غضبوا جاء الحفيظة والجد *
* اقلوا عليهم لا ابا لابيكم * من اللوم او سدوا المكان الذى سدوا *
* اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا * وان انعموا لا كدروها ولا كدوا *
* وان كانت النعماء فيهم جزوا بها * وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا *
* وتعذلنى ابناء سعد عليهم * وما قلت الا بالذى علمت سعد *

﴿ ومن ذلك قول الاخطل ﴾

* صم عن الجهل عن قيل الخنا خرس * وان ألمت بهم مكروهة صبروا *
* شمس العداوة حتى يستقاد لهم * واوسع الناس احلاما اذا قدروا *

﴿ ومن ذلك ما انشدنا احمد بن يحيى ﴾

* ميامين يرضون السياسة ان كفوا * ويكفون ان ساسوا بغير تكلف *
* اذا صرفوا للحق يوما تصرفوا * اذا الجاهل الخيرات لم يتصرف *
* وان كان فيهم موسر يقن فضله * وان كان فيهم معسر لم يطوف *

﴿ وانشدنا ايضا ﴾

* وفتيان صدق بائثين صحبتهم * يزيدهم هول الجناب تآسيا *
* فان يك خيرا احسنوا اسلابها * وان كان شرا يشربوه تحاسيا *

﴿ وانشدنا ﴾

* اذا المحل انسى العفة الناس ذيبت * وحامت عن الاحساب بكر بن وائل *

بهم

* بهم بعض ما بالناس لكن يردهم * حياء عفاف عن دنئ المآكل *

﴿ وانشدنا ﴾

* يذكرنى بشرا بكاء حمامة * على فنن من بطن بيشة مائل *
* فتى مثل صفو الماء ليس بباخل * بخير ولا مهد ملاما لباخل *
* ولا ناطقا احدوثة السبق معجبا * باظهارها فى المجلس المتقابل *
* ترى اهله فى نعمة وهو شاحب * طوى البطن مخماص الضحى والاصائل *

﴿ وانشدنا لمحمد بن زياد الحارثى ﴾

* تخالهم للحلم صما عن الخنا * وخرسا عن الفحشاء عند التهاجر *
* ومرضى اذا لوقوا حياء وعفة * وعند الحفاظ كالليوث الخوادر *
* لهم ذل انصاف وانس تواضع * ومن عزهم ذلت رقاب العشائر *
* كان بهم وصما يخافون عاره * وليس بهم الا اتقاء المعاير *

ثم من الشعراء الآن من يجمل المديح فيكون ذلك بابا من ابوابه حسنا ايضا لبلوغه الارادة مع خلوه عن الاطالة وبعده من الاكثار ودخوله فى باب الاختصار

﴿ فمن ذلك قول الحطيئة ﴾

* تزور امرءا يعطى على الحمد ماله * ومن يعط اثمان المكارم يحمد *
* يرى البخل لا يبقى على المرء ماله * ويعلم ان المال غير مخلد *
* كسوب ومتلاف اذا ما سألته * تهلل واهتز اهتزاز المهند *
* متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد *

فقد تصرف فى الابيات الاولى فى اصناف المديح المتقدم ذكرها واتى بجماع الوصف وجملة المديح على سبيل الاختصار فى البيت الاخير

﴿ ومن ذلك قول الشماخ ﴾

* رأيت عرابة الاوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين *
* اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين *

وقد اومأ السمط بن مروان ابى حفصة فى مدحه شرحبيل بن معن بن زائدة

ايماء موجزا ظريفا اتى على كثير من المدح باختصار واشارة بديعة فقال

* رأيت ابن معن افتن الناس جوده * فكلف قول الشعر من كان مفحما *
* وارخص بالعدل السلاح بارضنا * فما يبلغ السيف المهند درهما *

ومن الشعراء ايضا من يغرق فى المدح بفضيلة واحدة او اثنتين فيأتى على آخر ما فى كل واحدة منهما او اكثر وذلك اذا فعل مصيبا به الغرض فى الوقوع على الفضائل ومقصرا عن المدح الجامع لها لكنه يجود المديح حينئذ كلما اغرق فى اوصاف الفضيلة واتى بجميع خواصها او اكثرها وذلك مثلا فى الجراءة والاقدام كما قال الفرزدق لسالم الفدانى حين قتل قاتل اخيه العائذ بجوار عبد الملك

* اذا كنت فى دار تخاف بها الردى * فهم كتصميم الفدانى سالم *
* سخا طلبا للوتر نفسا بموته * فمات كريما آنفا للملايم *
* نقى ثياب الذكر من دنس الخنا * يناجى ضميرا مستدف العزائم *
* اذا هم اقرى ما به هم ماضيا * على الهول طلاعا ثنايا العظائم *
* ولما رأى السلطان لا ينفعونه * قضى بين ايديهم بابيض صارم *

وقد ينبغى ان يعلم ان مدائح الرجال وهى التى صمدنا للكلام فى هذا الباب تنقسم اقساما بحسب الممدوحين من اصناف الناس فى الارتفاع والاتضاع وضروب الصناعات والتبدى والتحضر وانه يحتاج الى الوقوف على المعين بمدح كل قسم من هذه الاقسام فاما اصابة الوجه فى مدح الملوك فمثل قول النابغة الذبيانى فى النعمان بن المنذر

* ألم تر ان الله اعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب *
* بانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب *

﴿ ومثل ذلك قول نصيب فى سليمان بن عبد الملك ﴾

* اقول لركب قافلين لقيتهم * قفا ذات اوشال ومولاك قارب *

القفا

القفا الثنية وهى العقبة والعرب تقول لقيت فلانا قفا الثنية اى خلف الثنية

* قفوا خبرونى عن سليمان اننى * لمعروفه من اهل ودان طالب *
* فعاجوا فاثنوا بالذى انت اهله * ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب *
* هو البدر والناس الكواكب حوله * وهل يشبه البدر المنير الكواكب *

ومثل قول الحزين الكنانى فى عبد الله بن عبد الملك بن مروان وقد وفد عليه وهو عامل مصر

* لما وقفت عليه فى الجموع ضحى * وقد تعرضت الحجاب والخدم *
* حييته بسلام وهو مرتفق * وضجة القوم عند الباب تزدحم *
* فى كفه خيزران ريحها عبق * من كف اروع فى عرنينه شمم *
* يغضى حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم *
* كلتا يديه ربيع غير ذى خلف * هذى خروج وهذى عارض همم *

﴿ ومثل قول ابن العتاهية فى الهادى ﴾

* يضطرب الخوف والرجاء اذا * حرك موسى القضيب او فكرا *

فاما مدح ذوى الصناعات كأن يمدح الوزير والكاتب بما يليق بالفكرة والروية وحسن التنفيذ والسياسة فان انضاف الى ذلك الوصف السرعة فى اصابة الحزم والاستغناء بحضور الذهن عن الابطاء لطلب الاصابة كان احسن واكمل للمدح كما قال اشجع

* بديهته مثل تفكيره * متى رمته فهو مستجمع *

﴿ وكما قال منصور النميرى ﴾

* وليس لاعباء الامور اذا اعترت * بمكترث لكن لهن صبور *
* يرى ساكن الاوصال باسط وجهه * يريك الهوينا والامور تطير *

واما مدح القائد فى ما يجانس البأس والنجدة ويدخل فى باب شدة البطش والبسالة فان اضيف الى ذلك المدح الجود والسماحة والتخرق فى البذل والعطية كان المديح حسنا والنعت تاما ٭ اذ كان السخاء اخا الشجاعة وكانا فى اكثر الامور

موجودين فى بعدآء الهمم واهل الاقدام والصولة وذلك كما قال بعض الشعراء فى جمع البأس والجود

* فتى دهره شطران فيما ينوبه * ففى باسه شطر وفى جوده شطر *
* فلا من بغاة الخير فى عينه قذى * ولا من زئير الحرب فى اذنه وقر *

﴿ وكما قال منصور النمرى فى افراده ذكر البأس وحده ﴾

* ترى الخيل يوم الحرب يظمأن تحته * وتروى القنا فى كفه والمناصل *
* حلال لا طراد الاسنة نحرها * حرام عليها متنها والكواهل *

﴿ وكما قال بشار بن برد ﴾

* ألا ايها الحاسد المبتغى * نجوم السماء بسعى امم *
* سمعت بمكرمة ابن العلا * فانشات تطلبها لست ثم *
* اذا عرض اللهو فى صدره * لها بالعطاء وضرب البهم *
* يلذ العطاء وسفك الدماء ويغدو على نعم او نقم *
* فقل للخليفة ان جئته * نصوحا ولا خير فى متهم *
* اذا ايقظتك حروب العدى * فنبه لها عمرا ثم نم *
* فتى لا ينام على ثأره * ولا يشرب الماء الا بدم *

واما مدح السوقة من البدو والحاضرة فينقسم قسمين بحسب انقسام السوقة الى المتعيشين باصناف الحرف و ضروب المكاسب والى الصعاليك والحراب والمتلصصة ومن جرى مجراهم فمدح القسم الاول يكون بما يضاهى الفضائل النفسانية التى قدمنا ذكرها خاليا من مثل مدح الملوك ومن قدمنا ذكره من الوزراء والكتاب و القواد وذلك مثل قول الشاعر

* يتراحمون ذوى يسارهم * يتعاطفون على ذوى الفقر *
* وذوو يسارهم كانهم * من صدق عفتهم ذوو وعر *
* متحلمين لطيب خيمهم * لا يهلعون لنبوة الدهر *

ومدح القسم الثانى يكون بما يضاهى المذهب الذى يسلكه اهله من الاقدام

والفتك

والفتك والتشمير والجد والتيقظ والصبر مع التخرق والسماحة وقلة الاكتراث للخطوب الملمة كما قال تأبط شرا يمدح صخر بن مالك

* وانى لمهد من ثنائى فقاصد * به لابن عم الصدق صخر بن مالك *
* اهز به فى ندوة الحى عطفه * كما هز عطفى بالهجان الاوارك *
* لطيف الحوايا يقسم الزاد بينه * سواء وبين الذئب قسم المشارك *
* كأن به فى البرد أثناء حية * بعيد الخطى شتى الهوى والمسالك *
* يظل بموماة ويمسى بغيرها * جحيشا ويعرورى ظهور المعارك *
* ويسبق وفد الريح من حيث تنتحى * بمنخرق من شده المتدارك *
* اذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل * له كالئ من قلب شيحان فاتك *
* وان طلعت اولى العداة فنفرة * الى سلة من صارم الغرب باتك *
* اذا هزه فى وجه قرن تهللت * نواجذ افواه المنايا الضواحك *

﴿ وقال ابو كبير الهذلى ﴾

* ولقد سريت على الظلام بمغشم * جلد من الفتيان غير مثقل *
* ممن حملن به وهن عواقد * حبك النطاق فشب غير مهبل *
* حملت به فى ليلة مزؤودة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل *
* فاتت به حوش الفؤاد مبطنا * سهدا اذا ما نام ليل الهوجل *
* ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء معضل *
* ما ان يمس الارض الا منكب * منه وحرف الساق طى المحمل *
* فاذا طرحت له الحصاة رأيته * ينزو لوقعتها نزو الاخيل *
* واذا انتبهت من المنام رأيته * كرسوب كعب الساق ليس بزمل *
* واذا رميت به الفجاج رأيته * ينضو مخارمها هوىّ الاجدل *
* واذا نظرت الى اسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل *
* يحمى الصحاب اذا تكون كريهة * واذا هم ازموا فأوى المعيل *

ثم نعقب الكلام فى المديح بالكلام فى الهجاء

﴿ نعت الهجاء ﴾ انه قد سهل السبيل الى معرفة وجه الهجاء وطريقه

ما تقدم من قولنا فى باب المديح واسبابه اذا كان الهجاء ضد المديح فكلما كثرت اضداد المديح فى الشعر كان اهجى له ثم تنزل الطبقات على مقدار قلة الاهاجى فيها وكثرتها فمن الهجاء المقذع الموجع ما انشدناه احمد بن يحيى

* كاثر بسعد ان سعدا كثيرة * ولا تبغ من سعد وفاء ولا نصرا *
* ولا تدع سعدا للقراع وخلها * اذا امنت من روعها البلد الفقرا *
* يروعك من سعد بن عمرو جسومها * وتزهد فيها حين تقتلها خبرا *

فمن اصابة المعنى فى هذا الهجاء ان هذا الشاعر سلم لهؤلاء القوم امرين يظن انهما فضيلتان وليستا بحسب ما وصفناه من الفضائل فضيلتين وهما كثرة العدد وعظم الخلق وغزا بذلك مغازى دلت على حذقه بالشعر ❊ فمنها ❊ ان ادخل هجاء لهم فى باب الاقوال الصادقة لاعطائه اياهم شيئا ومنعه لهم شيئا آخر وقصده بذلك ان يظن ان قوله فيهم انما هو على سبيل الصدق وذكره اياهم بما فيهم من جيد ورديء ❊ ومنها ❊ ما بان من معرفته بالفضائل حتى يميز صحيحها من باطلها فسلم الباطلة ومنع الصحيحة ❊ ومنها ❊ انه قطع عن هؤلاء القوم ما يعتذر به الكرام من قلة العدد فان الكرام ابدا فيهم قلة كما قال السموأل

* تعيرنى انا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل *

❊ ومن خبيث الهجاء ما انشدناه احمد بن يحيى ايضا ❊

* ان يغدروا او يفجروا * او يبخلوا لا يحفلوا *
* يغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا *

فمن جودة هذا الهجاء ان الشاعر به تعمد اضداد الفضائل على الحقيقة فجعلها فيهم لان الغدر ضد الوفاء والفجور ضد الصدق والبخل ضد الجود ثم اتى بعد ذلك بضد اجل الفضائل وهو العقل حيث قال * وغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا * لان هذا الفعل انما هو من افعال اهل الجهل والبهيمة والقحة التى هى من عمى القوة المنيرة كما قال جالنيوس فى كتابه فى اخلاق النفس

ولزياد

﴿ ولزياد الاعجم فى غياط بن حصين بن المنذر ﴾

* وسميت غياظا ولست بغائظ * عدوا ولكن للصديق تغيظ *
* عدوك مسرورونو الود للذى * يرى بك من غيظ عليك كظيظ *
* تسمى لما اوليت من صالح مضى * وانت لتعداد الذنوب حفيظ *
* تلين لاهل الغل والغمر منهم * وانت على اهل الصفاء فظيظ *

ومن الهجاء ايضا ما تجمل فيه المعانى كما يفعل فى المدح فيكون ذلك حسنا اذا اصيب به الغرض المقصود مع الايجاز فى اللفظ وذلك مثل قول العباس بن يزيد الكندى فى مهاجاته جريرا ومعارضته اياه فى قوله

* اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا *
* لو اطلع الغراب على تميم * وما فيها من السوءات شابا *

﴿ ومثل قول مرة بن عداء الفقعسى ﴾

* واذا تسرك من تميم خصلة * فلما يسوءك من تميم اكثر *

﴿ وقول الآخر ﴾

* ويقضى الامر حين تغيب تيم * ولا يستأذنون وهم شهود *

﴿ وللحكم الخضرى ﴾

* ألم تر انهم رقوا بلوم * كما رقت باذرعها الحمير *

﴿ ومثل قول اعشى باهلة ﴾

* بنو تيم قرارة كل لؤم * لكل مصب سائلة قرار *

وقد تبع ابو تمام حبيب بن اوس الطائى الاعشى فى هذا المعنى فقال

* اضحوا بمستن سيل اللوم وارتفعت * اموالهم فى هضاب المطل والعلل *

﴿ ومثل قول الآخر ﴾

* لو كان يخفى على الرحمن خافية * من خلقه خفيت عنه بنو اسد *

﴿ ومثل قول الآخر ﴾

* قوم اذا ما جنى جانيهم امنوا * من لؤم احسابهم ان يقتلوا قودا *

﴿ ومثل قول زياد الاعجم ﴾

* انى لاكرم نفسى ان اكلفها * هجاء جرم ولما يهجهم احد *
* ماذا يقول لهم من كان هاجيهم * لا يبلغ الناس ما فيهم وان جهدوا *

﴿ ومثل قول اوس بن معزاة ﴾

* فلست بعاف عن شتيمة عامر * ولا حابسى عما اقول وعيدها *
* ترى اللوم ما عاشوا جديدا عليهم * وابقى ثياب اللابسين جديدها *
* لعمرك ما تبلى سرابيل عامر * من اللوم ما دامت عليها جلودها *

هذه الابيات قالها اوس وهو يهاجى النابغة الجعدى فيقال ان النابغة كان يقول انى واوسا نبتدر بيتا فمن قاله غلب على صاحبه فلما قال اوس البيت الاخير قال هذا هو البيت الذى كنا نبتدره فغلب اوس عليه • ومثل قول عباس بن مرداس السلمى فى سفيان بن عبد يغوث النصرى

* واوعد وقل ما شئت انك جاهل * علىّ أما انت امرؤ من بنى نصر *

وما اجود ما قال الفرزدق فى عبد الله بن عمير الليثى حيث هرب من ابى فديك الخارجى وكان يتمنى لقاء الخوارج

* تمنيتهم حتى اذا ما رأيتهم * تركت لهم عند الجلاد السرادقا *
* واعطيت ما تعطى الحليلة بعلها * وكنت حبارى اذ رأيت البوارقا *

وفى قوله ما تعطى الحليلة بعلها مع ايجازه عجائب وكذلك فى قوله حبارى ومنهم من يفرط فى ذكر نقيصة واحدة كما يغلو عند المدح فى فضيلة واحدة ﴿ فمن ذلك للحطيئة يغرق فى ذكر البخل وحده ﴾

* كددت باظفارى واعملت معولى * فصادفت جلمودا من الصخر املسا *
* تشاغل لما جئت فى وجه حاجتى * واطرق حتى قلت قدمات او عسى *
* واجمعت ان انعاه حين رأيته * يفوق فواق الموت حتى تنفسا *
* فقلت له لا باس لست بعائد * فافرخ تعلوه السمادير ملبسا *

﴿ ولجرير فى ذكر العجز وحده ﴾

* ولا يتقون الشر حتى يصيبهم * ولا يعرفون الامر الا من النذر *

ثم

ثم ينظر اقسام المديح واسبابه فيجرى امر الهجاء بحسبها فى المراتب والدرجات والاقسام ويلزم ضد المعنى الذى يدل عليه اذ كان المديح ضد الهجاء ولنتبع القول فى الهجاء بالقول فى المراثى

﴿ نعت المراثى ﴾

ليس بين المرثية والمدحة فصل الا ان يذكر فى اللفظ ما يدل على انه لهالك مثل كان وتولى وقضى نحبه وما اشبه ذلك وهذا ليس يزيد فى المعنى ولا ينقص منه لان تأبين الميت انما هو بمثل ما كان يمدح فى حياته وقد يفعل فى التأبين شئ ينفصل به لفظه عن لفظ المدح بغير كان وما جرى مجراها وهو ان يكون الحى مثلا يوصف بالجود فلا يقال كان جوادا ولكن يقال ذهب الجود او فن للجود بعده اوليس الجود مستعملا مذ تولى وما اشبه هذه الاشياء كما قالت ليلى الاخيلية ترثى توبة بن الحمير بالنجدة على هذه السبيل

* فليس رجال الحرب يأتون بعدها * بعار ولا غاد بركب مسافر *

ومن الشعر من يرثى بذكر بكاء الاشياء التى كان الميت يزاولها وغير ذلك ومثله يحتاج الى تعلم صحة هذا المعنى فى مثل ما تكلم به من هذه الاشياء فانه ليس من اصابة المعنى ان يقال فى كل شئ تركه الميت بانه يبكى عليه لان من ذلك ما ان قيل انه بكى عليه لكان سيئة وعيبا لاحقين له • فن ذلك مثلا ان قال قائل فى ميت بكتك الخيل اذ لم تجد لها فارسا مثلك كان مخطئا لان من شأن ما كان يوصف فى حياته بكده اياه ان يذكر اغتباطه بموته وما كان فى حياته يوصف بالاحسان اليه ان يذكر اغتمامه بوفاته • ومن ذلك احسان الخنساء فى مرثيتها صخرا واصابتها المعنى حيث قالت تذكر اغتباط حذفة فرس صخر بموته

* فقد فقدتك حذفة فاستراحت * فليت الخيل فارسها يراها *

ولو قالت فقدتك حذفة فبكت لاخطأت وبكاء من يجب ان يبكى على الميت انما هو

من كان يوصف اذا وصف فى حياته باغاثته والاحسان اليه كما قال كعب ابن سعد الغنوى فى مرثية اخيه

* ليبكك شيخ لم يجد من يعينه * وطاوى الحشا نائى المزار غريب *

﴿ وكما قال اوس بن حجر يرثى فضالة بن كلدة الاسدى ﴾

* ليبكى الشرب والمدامة والفتيان طرا وطامع طمعا *
* وذات هدم عار نواشرها * تصمت بالماء تولبا جدعا *
* والحى اذ حاذروا الصباح واذ * خافوا مغيرا وسائرا تلعا *

فيجب ان يتفقد مثل هذا فى اصابة الغرض والانحراف عنه ° واذ قد تبين بما قلنا آنفا انه لا فصل بين المديح والتابين الا فى اللفظ دون المعنى فاصابة المعنى به ومواجهة غرضه هوان يجرى الامر فيه على سبيل المديح فمن المراثى التى تشبه فى المديح استيعاب الفضائل التى قدمنا ذكرها والابيات عليها مثل قول كعب بن سعد الغنوى يرثى اخاه

* لعمرى لئن كانت اصابت مصيبة * اخى والمنايا للرجال شعوب *
* لقد كان اما حلمه فمروح * علينا واما جهله فعزيب *
* اخى ما اخى لا فاحش عند بيته * ولا ورع عند اللقاء هيوب *

فقد اتى فى هذه الابيات بما وجب ان ياتى به فى المراثى اذ اصاب بها المعنى وجرت على الواجب اما فى البيت الاول فنذكر ما يدل على ان الشعر مرثية لهالك لا مديح لباق واما فى الابيات الاخر فبجميع الفضائل الاربع التى هى العقل والشجاعة والعفة والحلم ثم افتن كعب فى هذه المرثية بعد ذلك وزاد فى وصف بعض الفضائل ما لم يخرج به عن استقامة وهو قوله

* حليم اذا ما سورة الجهل اطلقت * حيا الشيب للنفس اللجوج غلوب *
* كعالية الرمح الردينى لم يكن * اذا ابتدر القوم العلاء يخيب *
* فانى لباكيه وانى لصادق * عليه وبعض القائلين كذوب *
* ليبكك شيخ لم يجد من يعينه * وطاوى الحشا نائى المزار غريب *
* جموع خلال الخير من كل جانب * اذا جاء جياء بهن ذهوب *

فتى

* فتى لا يبالى ان يكون لجسمه * اذا نال خلات الكرام شحوب *
* حليم اذا ما الحلم زين لاهله * مع الحلم فى عين العدو مهيب *
* اذا ما تراءاه الرجال تحفظوا * فلم ينطقوا العوراء وهو قريب *

ومثل قول اوس بن حجر يرثى فضالة بن كلدة الاسدى بجميع الفضائل التى ذكرناها الا العفة وحدها فانه ترك ذكرها الا انه فى بعض القصيدة وصفه بالكمال وفى الكمال كل فضيلة من العفة وغيرها

* ابا دليجة من يكفى العشيرة اذ * امسوا من الخطب فى نار وبلبال *
* ام من يكون خطيب القوم اذ حفلوا * لدى الملوك ذوى ايد وافضال *
* ام من لاهل لواء فى مسكعة * من حقهم لبسوا حقا بابطال *
* ام من لحى اضاعوا بعض امرهم * بين القسوط وبين الدين زلزال *
* فرجت غمتهم وكنت عينهم * حتى استقرت نواهم بعد تزوال *

فقد رثاه فى هذه الابيات بما جانس العقل والرأى واللسن ونحو ذلك وقال

* ابا دليجة من يوصى بارملة * ام من لاشعث ذى طمرين طملال *
* وما خليج من المراز ذو حدب * يرى الضرير بخشب الايك والضال *
* يوما باجود منه حين تسأله * ولا مغب ببرح بين اشبال *
* ليث عليه من البردى هبرية * كالمزبرانى عيانا باوصال *
* يوما باجرأ منه جد بادرة * على كمى بمهد الحد فصال *

فقد رثاه فى هذه الابيات بما جانس البذل والجود والسماحة والشجاعة ولم يذكر العفة الا انه قال فى اول القصيدة

* ام حصان فلم تضرب بكلتها * قد طفت فى كل هذا الناس احوالى *
* اى امرئ سوقة ممن سمعت به * اندى واكمل منه اى اكمال *

﴿ وقال اوس يرثى فضالة ﴾

* ايتها النفس اجملى جزعا * ان الذى تحذرين قد وقعا *
* ان الذى جمع السماحة والنجدة والباس والندى جمعا *
* الالمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا *

فقد جمع فى هذه المرثية جميع الفضائل ووضع الشئ من ذلك مواضعه •
ومن المراثى التى تشبه فى المديح اقتضاب المعانى واختصار الالفاظ ما قاله اوس فى قصيدته يرثى فضالة التى اولها

* ألم تكسف الشمس شمس النهار مع النجم والقمر الواجب *
* لهلك فضالة لا تستوى * الفقود ولا خلة الذاهب *
* وافضلت فى كل شئ فما * يقارب سعيك من طالب *
* نجيح مليح اخو مأقط * نقاب يحدث بالغائب *
* ويكفى المقالة اهل الرجال غير معيب ولا عائب *

وليس ينبغى للناظر ان يظن خطأ فى وضع مليح موضع المدح بالفضائل النفسية لان مليحا فى هذا الموضع ليس هو من قولهم قريش ملح الناس اى يستشفى بهم والذى يشهد بصحته قوله نقاب يحدث بالغائب لان هذا من جنس الرأى والحدس ﴿ وقول الشماخ فى عمر بن الخطاب ﴾

* فمن يسع او يركب جناحى نعامة * ليدرك ما قدمت بالامس يسبق *

﴿ وقول الحطيئة يرثى علقمة بن علاثة ﴾

* فما كان بينى لو لقيتك سالما * وبين الغنى الا ليال قلائل *
* ولو عشت لم املل حياتى فان تمت * فما فى حياة بعد موتك طائل *

ومنهم ايضا من يغرق فى وصف فضيلة واحدة على حسب ما تقدم وتكون جميع الاحوال فى المراثى جارية على حسب احوال المديح وفى ما تقدم فى باب المديح فى وصف ذلك ما اغنى عن اعادته فى هذا الموضع واول كلامنا فى المراثى الكلام فى التشبيه

﴿ نعت التشبيه ﴾

يجب ان نذكر اولا معنى التشبيه ثم نشرع فى وصفه فنقول انه من الامور المعلومة ان الشئ لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات اذ كان الشيئان اذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحدا فصار

الاثنان

الأثنان واحدا فبقى ان يكون التشبيه انما يقع بين شيئين بينهما اشتراك فى معان تعمهما ويوصفان بها وافتراق فى اشياء ينفرد كل واحد منهما بصفتها واذا كان الامر كذلك فاحسن التشبيه هو ما اوقع بين الشيئين اشتراكهما فى الصفات اكثر من انفرادهما فيها حتى يدنى بهما الى حال الاتحاد ٭ ومما جاء من التشبيهات الحسان قول يزيد بن عوف العليمى يذكر صوت جرع رجل قرى اللبن

٭ ففب دخالا جرعه متواتر ٭ كوقع السحاب بالطراف الممدد ٭

فهذا المشبه انما يشبه صوت الجرع بصوت المطر على الخباء الذى من ادم ومن جودته انه لما كانت الاصوات تختلف وكان اختلافها انما هو بحسب الاجسام التى تحدث الاصوات اصطكاكها وليس يدفع ان اللبن وعصب المرى اللذين حدث عن اصطكاكهما صوت الجرع قريب الشبه من الاديم الموتن والماء اللذين حدث عن اصطكاكهما صوت المطر وعند سلوك هذه السبيل فى تعرف جودة التشبيه يستجاد قول جبهاء الاشجعى فى تشبيه صوت حلب عنز بصوت الكير اذا نفخ

٭ كأن اجيج الكير ارزام شخبها ٭ اذا امتاحها فى محلب الحى مائح ٭

وقال اوس بن حجر يشبه ارتفاع اصواتهم فى الحرب تارة وهمودها وانقطاعها تارة بصوت التى تجاهد امر الولادة

٭ لها صرخة ثم اسكاتة ٭ كما طرقت بنفاس بكر ٭

ولم يرد المشبه فى هذا الموضع نفس الصوت وانما اراد حاله فى ازمان مقاطع الصرخات واذا نظر فى ذلك وجد الذى وقف بين الصوتين واحدا وهو مجاهدة المشقة والاستعانة على الالم بالتبديد فى الصرخة ٭ ومن جيد التشبيه قول الشماخ يذكر لواذ الثعلب من العقاب

٭ تلوذ ثعالب الشرفين منها ٭ كما لاذ الغريم من التبيع ٭

وقد يختلف اللواذان بحسب اختلاف اللائذين فاما التبيع فهو ملح فى طلب الغريم لفائدة يرومها منه والغريم بحسب ذلك مجتهد فى الروغان فى اللواذ خوفا من

مكروه يلحقه وكذلك الثعلب والعقاب سواء لان العقاب ترجو شبعها والثعلب يخاف موته وقال الشماخ

* كأن على اوراكها من لعابه * وخيفة خطمي بماء مرجرج *

فشبه لعاب الفحل اذا ظهر على اوراك الاتن عند كدمه اياها بالخطمي وهو شبيه به فى قوام الثخن وفى الرغوة وفى اللون ايضا وذلك ان الحمار انما يكثر كدمه الاتن فى الربيع عند خضرة الرطب وشره فى ذلك الوقت • وقد احسن الشماخ ايضا فى قوله حين شبه اضلاع الناقة حين براها السير بالقسى الموترة

* فقربت مبراة كأن ضلوعها * من الماسخيات القسى الموتر *

مبراة من البرة التى تجعل فى الانف من الناقة والماسخيات قسى تنسب الى قوم وقد احسن الشماخ فى هذا التشبيه من قبل اجتماع الاضلاع والقسى الموترة فى الشكل والتوتر والاعصاب والاوتار ولم يرد الا الشكل فقط وقد اتى على ما فيه ولابن احمر الباهلى يذكر قلب الفرس عند الحركة السريعة

* حتى ضحية طاويا ذا شرة * وفؤاده زجل كعرف الهدهد

فتواتر نبض قلب الفرس اذا تحرك قريب الشبه من تواتر حركة عرف الهدهد

﴿ وللمرار ﴾

* لها قلاص نعام يرتقين بها * كانهن سبي لابسوا الهدم *

فما احسن ما شبه فواضل ريش النعام بانسدال الاطمار الرثة على اللامس ولا سيما السبي فان فى مشيهم العجمية تشبه مشى النعام وفى ألوان ثيابهم قتمة من الدرن تشبه قتمة ريش النعام ففى الشيئين اشتراك فى معان كثيرة وقد يقع فى التشبيه تصرف الى وجوه تستحسن ﴿ فمنها ﴾ ان تجمع تشبيهات كثيرة فى بيت واحد وألفاظ يسيرة كما قال امرؤ القيس

* له ايطلا ظبي وساقا نعامة * وارخاء سرحان وتقريب تتفل *

فأتى باربعة اشياء مشبهة باربعة اشياء وذلك ان مخرج قوله له ايطلا ظبي انما هو على انه له ايطلان كايطلى الظبي وكذا ساقان كساقى نعامة وارخاء

كارخاء

كارخاء السرحان وتقريب كتقريب التتفل ﴿ ومنها ﴾ ان يشبه شئ باشياء في بيت او لفظ قصير وذلك كما قال امرؤ القيس

* وتعطو برخص غير شثن كأنه * اساريع ظبي او مساويك اسحل *

﴿ ومنها ﴾ ان يشبه شئ في تصرف احواله باشياء تشبهه في تلك الاحوال كما قال امرؤ القيس يصف الدرع في حال طيها

* ومشدودة السك موضونة * تضاءل في الطى كالمبرد *

﴿ ثم وصفها في حال النشر في هذه الابيات فقال ﴾

* تفيض على المرء اردانها * كفيض الاتي على الجدجد *

﴿ وكما قال يزيد بن الطثرية يشبه راسه في حال كون الجمة عليه وبعد حلقها ﴾

* فاصبح رأسي كالصخيرة اشرفت * عليها عقاب ثم طارت عقابها *

واحسن ايضا في تشبيه رأسه بعد الحلق بالصخرة وذلك انه قريب منها في الضخامة والملاسة واللون المائل الى خضرة وقد قال بعضهم في مثل ذلك

* جئنا كل املاء الاكف كأنها * رؤوس رجال حلقت في المواسم *

﴿ وقال الحسين بن مطير يشبه افعال رجل مات وكان جوادا ﴾

* فتى عيش في معروفه بعد موته * كما كان بعد السيل مجراه مرتعا *

ومن ابواب التصرف في التشبيه ان يكون الشعراء قد لزموا طريقة واحدة من تشبيه شئ بشئ فيأتي الشاعر من تشبيهه بغير الطريق التي اخذ فيها عامة الشعراء فمن امثال ذلك ان اكثر الشعراء يشبهون الخوذ بالبيض كما قال سلامة ابن جندل

* كأن نعاما باض فوق رؤوسهم * بنهي القذاف او بنهي مخفق *

﴿ وقال ﴾

* كأن نعام الدو باض عليهم * واعينهم تحت الحبيك الجواحر *

واكثر الشعراء يلتزمون هذا التشبيه فقال ابو شجاع الازدى

* فلم ار الا الخيل تعدو كأنما * سنورها فوق الرؤوس الكواكب *

وربما كان الشعراء يأخذون فى تشبيه شئ بشئ والشبه بين هذين الشيئين من جهة ما فيأتى شاعر آخر فى تشبيهه من جهة اخرى فيكون ذلك تصرفا ايضا مثال ذلك ان حل الشعراء يشبهون الدرع بالغدير الذى تصفقه الرياح كما قال اوس بن حجر

* واملس صولى كنهى فزارة * احس بقاع نفخ ريح فاجفلا *

﴿ وقال الآخر ﴾

* وعلىّ سابغة الذيول كأنها * سوق الجنوب جناب نهى مفرط *

وكثير من الشعراء ينحون فى تشبيه الدروع هذا المنحى وانما يذهبون الى الشكل وذلك ان الريح تفعل بالماء فى تركيبها اياه بعضا على بعض ما يشبهه فى حال التشكيل • فقال سلامة بن جندل عادلا عن تشبيه الشكل الى تشبيه اللين وذلك ان اللين من دلائل جودة الدرع لصغر قتيرها وحلقها.

* فألقوا لنا ارسان كل نجيبة * وسابغة كأنها متن خرنق *

﴿ وقال يذكر بريقها وهو وجه غير الوجهين الاولين ﴾

* مداخلة من نسج داود سكها * كمنكب ضاح من عماية مشرق *

﴿ ومن التشبيه الجيد للحكم الخضرى يصف غليان القدر بما فيها من قطع اللحم ﴾

* كأن جذول الناب فيها اذا غلت * دعاميص تخشى صائدا فتعوم *

﴿ ولقيس بن زهير ﴾

* كأن خذاريف السواعد بيننا * مغالى غواة يلعبون بها لعبا *

﴿ وللرقبان احد بنى عرافة بن سعد بن زيد ﴾

* وقد سقوهن سجالا فاستقوا * من اجن كأنهن الزنبق *

ثم لنتبع القول فى التشبيه القول فى الوصف

﴿ نعت الوصف ﴾

اقول الوصف انما هو ذكر الشئ كما فيه من الاحوال والهيئات ولما كان اكثر وصف الشعراء انما يقع على الاشياء المركبة من ضروب المعانى كان احسنهم من اتى فى شعره باكثر المعانى التى الموصوف مركب منها ثم باظهرها فيه واولاها حتى يحكيه بشعره ويمثله للحس بنعته ﴿فمن ذلك﴾ قول الشماخ يصف ارضا تسير النبالة فيها

* تقعقع فى الآباط منها وفاضها * خلت غير آثار الاراجيل ترتمى *

فقد اتى فى هذا البيت بذكر الرجالة وبين افعالها بقوله ترتمى ومن الحال فى مقدار سيرها بوصفه تقعقع الوفاض اذ كان فى ذلك دليل على الهرولة او نحوها من ضروب السير ودل ايضا على الموضع الذى حملت فيه هذه الرجالة الوفاض وهى اوعية السهام حيث قال فى الآباط فاستوعب اكثر هيئات النبالة واتى من صفاتها باولاها واظهرها عليها وحكاها حتى كأن سامع قوله يراها ﴿ ومن ذلك ﴾ قول ابى ذؤيب الهذلى يصف حال السيل عند انقلاع السحاب وسكون المطر

* لكل مسيل من تهامة بعدما * تقطع اقران السحاب عجيج *

﴿ ومنه قول رجل من هذيل يصف حال القوم فى الحرب عند الجلاد ﴾

* كغماغم الثيران بينهم * ضرب تغمض دونه الحدق *

﴿ ومثله قول معاوية بن خليل النصرى من نصر بن قعين يذكر نباهة حيه وانه اشهر من جدلم حى آخر ﴾

* فنحن الثريا وعيوقها * ونحن السماكان والمرزم »

* وانتم كواكب مجهولة * ترى فى السماء ولا تعلم *

﴿ وليزيد بن الصمد يصف آثار خيل وابل طردها فنجا بها ﴾

* ألا رب غزو ما ركبنا جواده * وما قد عقرنا من صفىّ ومن قرم *

* واصبحن قد جاوزن اسفل ذى حسا * وآثارها فوق المصيخ كالرقم *

﴿ ولعبد الرحمن بن عبد الله القس يصف اصغاء السامعين الى الغناء الحسن المطرب وهو فى سلامه ﴾

* اذا ما عج مزهرها اليها * وعاجت نحوه اذن كرام *
* فاصغوا نحوها الاسماع حتى * كأنهم وما ناموا نيام *

﴿ وللمرار بن المنقذ من بلعدويه يصف الفرس الكريم ﴾

* ذو مراح فاذا وقرته * فذلول حسن الخلق يسر *

﴿ وليزيد بن مالك الغامدى يصف فعل سنابك الخيل فى الارض ﴾

* يثرن بسهل الارض مما يدسنه * عجاجا وبالحران نار الحباحب *

﴿ ولعدى بن الرقاع العاملى يصف فعل سنابك حمارين اذا عدوا ﴾

* يتعاوران من الغبار ملاءة * غبراء محكمة هما نسجاها *
* تطوى اذا علوا مكانا ناشزا * واذا السنابك سهلت نشراها *

﴿ ولذى الرمة ﴾

* ترى الخود يكرهن الرياح اذا جرت * ومى بها لولا التحرج تفرح *
* اذا ضربتها الريح فى المرط اشرفت * روادفها وانضم منها الموشح *

ولنتبع القول فى الوصف بالقول فى النسيب

﴿ نعت النسيب ﴾

اقول ان كثيرا من الناس يحتاج الى ان يعلم اولا ما النسيب ونحن نحده فنقول ان النسيب ذكر خلق النساء واخلاقهن وتصرف احوال الهوى به معهن وقد يذهب على قوم ايضا موضع الفرق بين النسيب والغزل والفرق بينهما ان الغزل هو المعنى الذى اذا اعتقده الانسان فى الصبوة الى النساء نسب بهن من اجله فكأن النسيب ذكر الغزل والغزل المعنى نفسه والغزل انما هو التصابى والاستهتار بمودات النساء ويقال فى الانسان انه غزل اذا كان متشكلا بالصورة التى تليق بالنساء وتجانس موافقاتهن لحاجته

بالوجه

بالوجه الذى يجذبهن الى ان يملن اليه والذى يميلهن اليه هو الشمائل الحلوة والمعاطف الظريفة والحركات اللطيفة و الكلام المستعذب و المزاح المستغرب و يقال لمن يتعاطى هـذا المذهب من الرجال و النساء متشاج وانما هو متفاعل من الشجى اى متشبه بمن قد شجاه الحب و اذ قد بان ان الذى قلناه على ما قلنا فيجب ان يكون النسيب الذى يتم به الغرض هو ما كثرت فيه الادلة على التهالك فى الصبابة وتظاهرت فيه الشـواهد على افراط الوجد واللوعـة وما كان فيه من التصابى والرقة اكثر ممـا يكون من الخشـن والجلادة ومن الخشـوع والذلة اكثر ممـا يكون فيه من الاباء والعز وان يكون جماع الامر فيه ما ضـاد التحافظ والعزيمة ووافق الانحلال والرخاوة فاذا كان النسيب كذلك فهو المصاب به الغرض وقد يدخل فى النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الاحبة بالرياح الهـابة والبروق اللامعة والحمائم الهـاتفة والخيالات الطائفة وآثار الديار العـافية واشخاص الاطلال الدائرة وجميـع ذلك اذا ذكـر احتيج ان تكون فيـه ادلة على عظيم الحسرة و من مضى الاسف والمنازعة * ولست اذكر متى سمعت فى التشوق بآثار الديار اوجز ولا اجمع ولا ادل على لاعج الشوق ومكمد الوجد من قول محمد بن عبيد الازدى

* فلم تدع الارواح والماء والبلى * من الدار الا ما يشوق ويشغف *

ولعمرى ان عمرو بن احمر الباهلى قد اوجز وابان عن تشوق وعظيم تحسر بقوله

* معارف تلوى بالفؤاد وان تقل * لهـا بينى لى حاجة لم تكلم *

واما قوله لم تكلم فهو تجاهل الهائم وتدله الواله فانه قد يحتـاج الى ان يكون فى شعر الوامق دليل على انه للتحنن * وممن شاقته المنازل صخر الحضرى وقد مر على ربع فقـال

* بليت كما يبلى الردآء ولا ارى * جنابا ولا اكنـاف وزرة تخلق *
* الوى حيازيمى بهن صبـابة * كما تتطـوى الحيـة المتشرق *

وممن شـاقه البرق فاحسن ما مر به من الشوق حبيش بن مطر العامرى حيث يقول ويذكر خفقان قلبه

* أجدك لا يبدو لك البرق مرة * من الدهر الا ماء عينيك يذرف *
* وقلبك من فرط اشتياق كأنه * بدا لامع او طائر يتطرف *

﴿ ولرجل من عبس ﴾

* اذا الله اسقى دمنتين ببلدة * من الارض سقيا رحمة فسقاهما *
* نزلنا بهذى منزلا ثم منزلا * بهذى فطاب المنزلان كلاهما *
* فبت اشيم البرق مرتفقا له * يدا عن يد حتى وفى منكباهما *

﴿ وقال الشماخ ﴾

* رأيت سنا برق فقلت لصاحبى * بعيد بعلوما رأيت سحيق *
* فبات مهما لى يذكرنى الهوى * كأنى لبرق بالحجاز صديق *
* وبات فؤادى مستخفا كانه * خوافى عقاب بالجناح خفوق *

فاما النسيب نفسه فقد تقدمت اوصافنا له ومما نختم به القول ان المحسن من الشعراء فيه هو الذى يصف من احوال ما يجده ما يعلم به كل ذى وجد حاضر او داثر انه يجد او قد وجد مثله حتى يكون للشاعر فضيلة الشعر ﴿فمن ذلك قول ابى صخر الهذلى يصف ما ارى ان كل متعلق بمودة يجد﴾

﴿ مثله قوله ﴾

* أما والذى ابكى واضحك والذى * امات واحيا والذى امره الامر *
* لقد كنت آتيها وفى النفس هجرها * بتاتا لاخرى الدهر ما طلع الفجر *
* فما هو الا ان اراها فجاءة * فابهت لا عرف لدى ولا نكر *
* وانسى الذى قد كنت فيه هجرتها * كما قد تنسى لب شاربها الخمر *

وفى هذه القصيدة ايضا موضع آخر دال على افراط المحبة مبين عن سجية فى اهل الهوى عامة وهو قوله

* ويمنعنى من بعد انكار ظلمها * اذا ظلمت يوما وان كان لى عذر *
* مخافة انى قد عرفت لان بدا * لى الهجر منها ما على هجرها صبر *
* وانى لا ادرى اذا النفس اشرفت * على هجرها ما يفعلن بى الهجر *

﴿ وكما قال الشاعر ﴾

* يود بان يمسى سقيما لعلها * اذا سمعت عنه بشكوى تراسله *
* ويهتز للمعروف فى طلب العلى * لتحمد يوما عند ليلى شمائله *

فهو من احسن القول فى الغزل وذلك ان هذا الشاعر قد ابان فى البيت الاول عن اعظم وجد وجده محب حيث جعل السقم ايسر ما يجد من الشوق فانه اختاره ليكون سبيلا الى ان يشفى بالمراسلة فهو ايسر ما يتعلق به الوامق وادنى فوائد العاشق وابان فى البيت الثانى عن اعظام منه شديد لهذه المرأة حيث لم يرض لنفسه كونها على سجيتها الاولى حتى احتاج الى ان يتكلف سجايا مكتسبة يتزين بها عندها وهذه غاية المحبة ووصف الشاعر لذلك هو الذى يستجاد لاعتقاده اذ كان الشعر انما هو قول واذا اجاد فيه القائل لم يطالب بالاعتقاد لانه قد يجوز ان يكون معتقدا لاضعاف ما فى نفس هذا الشاعر من الوجد بحيث لم يذكروه وانما اعتقدوه فقط ولم يدخلوا فى باب من يوصف بالشعر والقول والنسيب قول طريح الثقفى

* بان الخليط وفرق الشمل * وعلى التفرق ما بدا الوصل *
* ابكاك منهم ما فرحت به * ولكل مولد فرحة ثكل *

﴿ ومن هذه الابيات ﴾

* ممسودة خلقت فعليتها * خوط ومعقد مرطها عبل *
* تضع البريم فيستدير على * فعم ألف كأنه رمل *
* يسجى اذا ما قلت اخفضه * ويثور منكشطا اذا يعلو *
* وقيامها حسم وضحكتها * عند الحبيب تبسم رتل *
* وعلا بها عظم فالحقها * بنسائها ولداتها بسل *

﴿ ولابى صخر الهذلى فى التصابى والخلاعة ﴾

* اراد الشيب منى ختل نفسى * لانسى ذكر ربات الحجال *
* اذا اختصم الصبى والشيب عندى * فافلجت الشباب فلا ابالى *

الهوى من غير ان يقول ادنى المهاوى لكانت المقابلة ناقصة لكن كما قال تبعد قال ادنى ولو قال لم تبعد لقنع منه بان يقول تهوى فقط من غير ان يأتى بالدنو

﴿ وللطرماح بن حكيم ﴾

* اسرناهم وانعمنا عليهم * واسقينا دماءهم الترابا *
* فما صبروا لبأس عند حرب * ولا ادوا لحسن يد ثوابا *

فجعل بازاء ان استوهم دماءهم التراب وقاتلوهم ان يصبروا وبازاء ان انعموا عليهم ان يثيبوا ﴿ ولآخر ﴾

* جزى الله عنا ذات بعل تصدقت * على عزب حتى يكون له اهل *
* فانا سنجديها كما فعلت بنا * اذا ما تزوجنا وليس لها بعل *

فقد اجاد هذا الشاعر حيث وضع مقابل ان تكون المرأة ذات بعل وقابل حاجته وهو عزب بحاجتها وهى عزبة من غير ان يغادر شرطا ولا ان يزيد شيئا

﴿ ومن انواع المعانى صحة التفسير ﴾

وهو ان يضع الشاعر معانى يريد ان يذكر احوالها فى شعره الذى يصنعه فاذا ذكرها اتى بها من غير ان يخالف معنى ما اتى به منها ولا يزيد او ينقص مثل قول الفرزدق رحمه الله

* لقد جئت قوما لو لجأت اليهم * طريد دم او حاملا ثقل مغرم *

فلما كان هذا البيت محتاجا الى تفسير قال

* لالفيت فيهم معطيا او مطاعنا * وراءك شزرا بالوشيج المقوم *

ففسر قوله حاملا ثقل مغرم بقوله ان يلقى فيهم من يطاعن دونه ويحميه ومثله قول الحسين بن مطير الاسدى

* وله بلا حزن ولا بمسرة * ضحك يراوح بينه وبكاء *

ففسر بلا حزن ببكاء ولا بمسرة بضحك ﴿ وقال صالح بن جناح اللخمى ﴾

* لئن كنت محتاجا الى الحلم انني * الى الجهل فى بعض الاحايين احوج *

وفسر

﴿ وفسر ذلك بان قال ﴾

* ولى فرس للحلم بالحلم ملجم * ولى فرس للجهل بالجهل مسرج *

فلم يزد المعنى ولا نقص منه ثم فسر البيت الثانى ايضا فقال

* فمن رام تقويمى فانى مقوم * ومن رام تعويجى فانى معوج *

﴿ وقال سهل بن مروان ﴾

* فوا حسرتى حتى متى القلب موجع * بقصد حبيب او تعذر افضال *

﴿ وفسر ذلك فقال ﴾

* فراق خليل مثله يورث الاسى * وخلة حر لا يقوم بها مالى *

﴿ ومن انواع نعوت المعانى التتميم ﴾

وهو ان يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الاحوال التى تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئا الا اتى به مثل قول نافع بن خليفة الغنوى

* رجال اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه عاذوا بالسيوف القواطع *

فما تمت جودة المعنى الا بقوله يعطوه والا كان المعنى منقوص الصحة

﴿ ومثل قول عمير بن الايهم التغلبى ﴾

* بها نلنا القرائب من سوانا * واحرزنا القرائب ان تنالا *

والذى اكمل جودة هذا البيت قوله * واحرزنا القرائب ان تنالا * مع انهم نالوا القرائب من سواهم ﴿ ومثله قول طرفة ﴾

* فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى *

فقوله غير مفسدها اتمام لجودة ما قاله لانه لو لم يقل غير مفسدها لعيب كما عيب ذو الرمة فى قوله

* ألا يا اسلمى يا دار مى على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر *

فان الذى عابه فى هذا القول انما هو بان نسب قوله هذا الى ان فيه افسادا للدار التى دعا لها وهو ان تعرف بكثرة المطر ٭ ومثل قول مضرس بن ربعى

* والمانعون اذا كانت ممانعة * والعائذون بحسناهم اذا قدروا *

﴿ ومثل قول عبيد الراعى ﴾

* لا خير فى طول الاقامة للفتى * الا اذا ما لم يجد متحولا *

﴿ ومثل قول كعب بن سعد الغنوى ﴾

* حليم اذا ما الحلم زين اهله * مع الحلم فى عين العدو مهيب *

﴿ ومثل قول الاسود بن يعفر ﴾

* ألا من لامنى الا صديق * فلاقى صاحبا كأبى زياد *

﴿ ومثل قول حسان بن ثابت ﴾

* لم تفتها شمس النهار بشئ * غير ان الشباب ليس يدوم *

﴿ ومثل قول اعشى باهلة ﴾

* لا يصعب الامر الا ريث يركبه * وكل امر سوى الفحشاء يأتمر *

﴿ ومثل قول النمر بن تولب ﴾

* لقد اصبح البيض الغوانى كأنما * يرين اذا ما كنت فيهن احربا *
* وكنت اذا لاقيتهن ببلدة * يقلن على النكراء اهلا ومرحبا *

فقوله على النكراء اتم جودة المعنى والا فلو كانت بينهم معرفة لم ينكر ان يقلن له اهلا ومرحبا

﴿ وقول الآخر ﴾

* وهل علمت بيتنا الا وله * شربة من غيره واكله *

﴿ ومن انواع نعوت المعانى المبالغة ﴾

وهى ان يذكر الشاعر حالا من الاحوال فى شعر لو وقف عليها لاجزأه ذلك فى الغرض الذى قصده فلا يقف حتى يزيد فى معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون ابلغ فى ما قصد وذلك مثل قول عمير بن الايهم التغلبى

* ونكرم جارنا ما دام فينا * ونتبعه الكرامة حيث سارا *

فاكرامهم

فاكرامهم للجار ما كان فيهم من الاخلاق الجميلة الموصوفة واتباعهم الكرامة حيث كان من المبالغة فى الجميل ❊ ومثل ذلك قول الحكم الخضرى ❊

* واقبح من قرد وابخل بالقرى * من الكلب امسى وهو غرثان اعجف *

فقد كان يجزى فى الذم ان يكون هذا المهجو ابخل من الكلب ومن المبالغة فى هجائه قوله وهو غرثان اعجف ❊ ومن هذا الجنس لدريد بن الصمة ❊

* متى ما تدع قومك ادع قومى * فيأتى من بنى جشم فئام *
* فوارس بهمة حشدا اذا ما * بدا حضر الحيية والحذام *

والمبالغة الشديدة فى هذا الشعر هى فى قوله الحيية ❊ ومنه للحكم الخضرى ايضا ❊

* فكن يا جارهم فى خير دار * فلا ظلم عليك ولا جفاء *

فقوله فلا ظلم عليك ولا جفاء توكيد ومبالغة ❊ ومنه قول رواش بن تميم احد القطاريف الازدى ❊

* وانا لنعطى النصف منا واننا * لنأخذه من كل ابلخ ظالم *

فهذه مبالغات مضاعفة مكررة ❊ ومنه قول مضرس ❊

* بهم تمترى الحرب العوان وفيهم * تؤدى القروض حلوها ومريرها *

فقوله ومريرها مبالغة ❊ وكذلك قول اوس بن غلفاء الهجيمى ❊

* هم تركوك اسلح من حبارى * رأت صقرا واشرد من نعام *

ففى قوله رأت صقرا مبالغة

﴿ ومن نعوت المعانى التكافؤ ﴾

وهو ان يصف الشاعر شيئا او يذمه او يتكلم فيه اى معنى كان فيأتى بمعنيين متكافئين والذى اريد بقولى متكافئين فى هذا الموضع اى متقاومين اما من

جهة المصادرة او السلب والايجاب او غيرهما من اقسام التقابل مثل قول ابى الشعب العبسى

* حلو الشمائل وهو مر باسل * يحمى الذمار صبيحة الارهان *

فقوله مر وحلو تكافؤ ﴿ ومثل قول ام الضحاك المحاربية ﴾

* وكيف يساوى خالداً او يناله * خميص من التقوى بطين من الخمر *

فقوله خميص وبطين تكافؤ ﴿ ومثل قول طرفة ﴾

* بطئ الى الجلى سريع الى الخنا * ذلول باجماع الرجال الملهد *

فقوله سريع وبطئ تكافؤ ﴿ ومثل قول زهير ﴾

* حلماء فى النادى اذا ما جئتهم * جهلاء يوم عجاجة ولقاء *

فقوله حلماء وجهلاء تكافؤ ﴿ ومثل قول حميد بن نور ﴾

* فلم ار محزونا له مثل صوتها * ولا عربيا شاقه صوت اعجما *

فقوله عربى واعجم تكافؤ ﴿ ومثل قول الآخر ﴾

* بطاء عن الفحشاء لا يحضرونها * سراع الى داعى الصباح المثوب *

﴿ ومثل قول عباس بن مرداس ﴾

* مطهما خلقه شما سنابكه * صعلا على ان فى الجنبين اجفارا *

فجعل صعلا مكافئا لاجفار ﴿ ومثل قول الفرزدق ﴾

* فتى السن كهل العلم قد عرفت له * قبائل ما بين الدنى وابادى *

فقوله فتى مكافاة القول كهل ﴿ وقال الفرزدق ايضا ﴾

* لعمرى لئن قل الحصى فى رجالكم * بنى نهشل ما لؤمكم بقليل *

فهذا ضرب من المكافأة من جهة السلب • واستجاد الناس قول دعبل حين روى انه قال

* لا تعجبى يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى *

لان ضحك وبكى مكافأة وقد اتى المحدثون من التكافؤ باشياء كثيرة وذلك انه بطباع اهل التحصيل والروية فى الشعر والتطلب لتجنيسه اولى منه بطباع القائلين

على

على الهاجس بحسب ما يسنح من الخاطر مثل الاعراب ومن جرى مجراهم على ان اولئك بطباعهم قد اتوا بكثير منه وقد قدمنا بعضه وما للمحدثين فى ذلك مثل قول بشار

* اذا ايقظتك حروب العدى * فنبه لها عمرا ثم نم *

فنبه ونم تكافؤ وله اثر فى تجويد الشعر قوى فانه اوقال مثلا تجرد لها عمرا لم يكن لهذه اللفظة ما لنبه من الموضع مع نم

﴿ ومن نعوت المعانى الالتفات ﴾

وهو ان يكون الشاعر آخذا فى معنى فكأنه يعترضه اما شك فيه او ظن بان رادا يرد عليه قوله او سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعا الى ما قدمه فاما ان يذكر سببه او يحل الشك فيه مثال ذلك قول المعطل فى بنى رهم من هذيل

* تبين صلاة الحرب منا ومنهم * اذا ما التقينا والمسالم بادن *

فقوله والمسالم بادن رجوع عن المعنى الذى قدمه حين بين ان علامة صلاة الحرب ان المسالم يكون بادنا والمحارب ضامرا ﴿ وقول الرماح ابن ميادة ﴾

* فلا صرمه يبدو وفى اليأس راحة * ولا وصله يبدو لنا فنكارمه *

فكأنه يقول وفى اليأس راحة التفت الى المعنى لتقدير ان معارضا يقول له ما تصنع بصرمه فقال لان فى اليأس راحة ﴿ ومن هذا الجنس قول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ﴾

* واجمل اذا ما كنت لا بد مانعا * وقد يمنع الشئ الفتى وهو مجمل *

﴿ ومنه قول امرئ القيس ﴾

* يا هل اتاك وقد يحدث ذو الود القديم متمة الذحل *

فكانه لما قال اتاك وكان المعنى مسرا عين مظهر توهم ان المخاطب يقول له كيف يبلغنى فقال له وقد يحدث ذو الود القديم متمة الذحل ﴿ وقول طرفة ﴾

* وتكف عنك مخيلة الرجل العريض موضحة عن العظم *
* بحسام سيفك او لسانك والكلم الاصيل كارعب الكلم *

فكأنه لما بلغ بعد حسامك الى لسانك قدر ان معترضا يعترضه فيقول كيف يكون مجرى السيف و اللسان واحدا فقال والكلم الاصيل كاشد الجراح واكثرها اتساعا ﴿ ومنه قول جدير بن ربعان ﴾

* معازيل فى الهيجاء ليسوا بزادة * مجازيع عند الياس والحر يصبر *

ففى قوله والحر يصبر التفات الى اول كلامه وقد يضع الناس فى باب اوصاف المعانى الاستغراب والطرفة ان يكون المعنى مما لم يسبق اليه وليس عندى ان هذا داخل فى الاوصاف لان المعنى المستجاد اذا كان فى ذاته جيدا فاما ان يقال له جيد اذا قاله شاعر من غير ان يكون تقدمه من قال مثله فهذا غير مستقيم بل يقال لما جرى هذا المجرى طريف وغريب اذا كان فردا قليلا فاذا كثر لم يسم بذلك وغريب وطريف هما شئ آخر غير حسن او جيد لانه قد يجوز ان يكون حسن جيد غير طريف ولا غريب وطريف غريب غير حسن ولا جيد فاما حسن جيد غير غريب ولا طريف فمثل تشبيههم الدروع بحباب الماء الذى تسوقه الرياح فانه ليس جودة هذا التشبيه تعاور الشعراء اياه قديما او حديثا واما طريف وغريب لم يسبق اليه وهو قبيح بارد خلئ الدنيا مثل اشعار قوم من المحدثين سبقوا الى البرد فيها والذى عندى فى هذا الباب ان الوصف فيه لاحق بالشاعر المبتدئ بالمعنى الذى لم يسبق اليه لا الى الشعر اذ كانت المعانى مما لا يجعل القبيح منها حسنا لسبق السابق الى استخراجها كما لا يجعل الحسن قبيحا للغفلة عن الابتداء واحسب انه اختلط على كثير من الناس وصف الشعر بوصف الشاعر فلم يكادوا يفرقون بينهما واذا تأملوا هذا الامر نعما علموا ان الشاعر موصوف بالسبق الى المعانى واستخراج ما لم يتقدمه احد الى استخراجه لا الشعر ولنتبع بذكر المعانى وهو القسم الرابع من اقسام الشعر المفردات ذكر الاربعة المركبات التى قدمنا القول فيها فى اول الكتاب ولنبدأ باولها وهو

﴿ نعت ائتلاف اللفظ مع المعنى ﴾

من انواع ائتلاف اللفظ مع المعنى ﴿ المساواة ﴾ وهو ان يكون اللفظ مساويا للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه وهذه هى البلاغة التى وصف بها بعض الكتاب رجلا فقال كانت ألفاظه قوالب لمعانيه اى هى مساوية لها لا يفضل احدهما على الآخر ﴿ وذلك مثل قول امرئ القيس ﴾

* فان تكتموا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الحرب لا نفقد *
* فان تقتلونا نقتلكم * وان تقصدوا الذم لا نقصد *

﴿ ومثل قول زهير ﴾

* ومهما يكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم *

﴿ ومثل قوله ﴾

* اذا انت لم ترحل عن الجهل والخنا * اصبت حليما او اصابك جاهل *

﴿ ومثل قوله ﴾

* سعى بعدهم قوم لكى يدركوهم * فلم يدركوا ما ادركوه ولم يألوا *

﴿ ومثل قول طرفة ﴾

* لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتى * لكالطول المرخى وثنياه باليد *
* ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود *

﴿ ومثله قول خالد بن زهير ابن اخى ابى ذؤيب الهذلى ﴾

* فلا تجزعن من سنة انت سرتها * فاول راض سنة من يسيرها *

﴿ ومثل قول ليلى الاخيلية ﴾

* فلا يبعدنك الله يا توب انما * لقاء المنايا دارعا مثل حاسر *

﴿ ومن انواع ائتلاف اللفظ والمعنى الاشارة ﴾

وهو ان يكون اللفظ القليل مشتملا على معان كثيرة بايماء اليها او لمحة تدل

عليها كما قال بعضهم وقد وصف البلاغة فقال هى لمحة دالة ﴿ ومثل ذلك قول امرئ القيس ﴾

* فان تهلك شنوءة او تبدل * فسيرى ان فى غسان خالا *
* لعزهم عززت وان يذلوا * فذلهم انالك ما انالا *

فبينة هذا الشعر على ان ألفاظه مع قصرها قد اشيربها الى معان طوال فمن ذلك قوله تهلك او تبدل ومنه قوله ان فى غسان خالا ومنه ما تحته معان كثيرة وشرح وهو قوله انالك ما انالا ﴿ ومثل قول طرفة ﴾

* موضوعها زول ومرفوعها * مرعاب لجب وسط الريح *

فقوله زول مشار به الى معان كثيرة وهو شبيه بما يقول الناس فى اجمال نعت الشئ واختصاره عجب ﴿ وقال آخر ﴾

* هاج ذا القلب من تذكر جمل * ما يهيج المتيم المحزونا *

فقد اشار هذا الشاعر بقوله ما يهيج المتيم المحزونا الى معان كثيرة ﴿ ومثل قول امرئ القيس ﴾

* على هيكل يعطيك قبل سؤاله * افانين جرى غير كز ولا وانى *

فقد جمع بقوله افانين جرى على ما اوعد لكان كثيرا وضم الى ذلك ايضا جميع اوصاف الجودة فى هذا الفرس وهو قوله قبل سؤاله اى يذهب فى هذه الافانين طوعا من غير حث وفى قوله غير كز ولا وانى ينفى عنه ان يكون معه الكزازة من قبل الجماح والمنازعة والونى من قبل الاسترخاء والفترة ﴿ ومثله قوله ايضا يصف ذئبا ﴾

* فظل كمثل الخشف يرفع رأسه * وسائره مثل التراب المدقق *
* وجاء خفيا يسفن الارض بطنه * ترى الترب منه لازقا كل ملزق *

فى هذا الشعر اجمال للمعانى كثير واوكد ما فيه من ذلك قوله لازقا كل ملزق ﴿ ومثل قول زهير ﴾

* فانى لو لقيتك واتجهنا * لكان لكل منكرة كفاء *

ومثل

﴿ ومثل قول اوس بن حجر ﴾

* فان يهو اقوام ردائى فاننى * يقينى الاله ما وقى وردائيا *

﴿ ومثل قول قتادة بن طارق الازدى ﴾

* أهاجك ربع قد تحمل حاضره * واوحش بعد الحى منه مناظره *

يقول ما تنظر الى موضع منه الا ذكرت فيه من الانس ممن كان يحله ما قد اوحش فى هذا الوقت بخلوه منه ﴿ وللعامرية ﴾

* كيف الفخار وقد صاروا لنسوتكم * يوم الفخار بنو ذبيان اربابا *
* اذ جر ناصيتى حصن واعتقنى * وذاك شيب منى اليوم ما شابا *

﴿ ولامرئ القيس ﴾

* فظل لنا يوم لذيذ بنعمة * فقل فى مقيل نحسه متغيب *

﴿ ولامرأة من عكل ﴾

* يا ابن الدعى انها عكل فقف * لتعلمن اليوم ان لم تنصرف *
* ان الكريم واللئيم يختلف *

﴿ ومن انواع ائتلاف اللفظ والمعنى الارداف ﴾

وهو ان يريد الشاعر دلالة على معنى من المعانى فلا يأتى باللفظ الدال على ذلك المعنى بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له فاذا دل على التابع ابان عن المتبوع بمنزلة قول الشاعر

* بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * ابوها واما عبد شمس فهاشم *

وانما اراد الشاعر ان يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص به بل اتى بمعنى هو تابع لطول الجيد وهو بعد مهوى القرط ﴿ ومثله قول امرئ القيس ﴾

* ويضحى فتيت المسك فوق فراشها * نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل *

وانما اراد امرؤ القيس ان يذكر ترفه هذه المرأة وان لها من يكفيها فقال نؤوم الضحى وان فتيت المسك يبقى الى الضحى فوق فراشها وكذلك سائر البيت اى

هى لا تنتطق لتخدم ولكنها فى بيتها متفضلة ومعنى عن فى هذا البيت معنى بعد

﴿ وكذلك قوله ﴾

* وقد اغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل *

فانما اراد ان يصف هذا الفرس بالسرعة وانه جواد فلم يتكلم باللفظ بعينه ولكن بارداقه ولواحقه التابعة له وذلك ان سرعة احضار الفرس يتبعها ان تكون الاوابد وهى الوحوش كالمقيدة له اذا نحا فى طلبها والناس يستجيدون لامرئ القيس هذه اللفظة فيقولون هو اول من قيد الاوابد وانما عنى بها الدلالة على جودة الفرس وسرعة حضره فلو قال ذلك بلفظه لم يكن عند الناس من الاستجادة ما جاء من اتيانه بالردف له وفى هذا برهان على ان وضعنا الارداف من اوصاف الشعر ونعوته واقع بالصواب ﴿ ومنه قول ليلى الاخيلية ﴾

* ومخرق عنه القميص تخاله * بين البيوت من الحياء سقيما *

فانما ارادت وصفه بالجود والكرم فجاءت بالارداف والتوابع لهما اما ما يتبع الجود فان مخرق قميص هند المنعوت فسر ان العفاة تجذبه فتخرق قميصه من مواصلة جذبهم اياه واما ما يتبع الكرم فالحياء الشديد الذى كأنه من اماتة نفس هذا الموصوف وازالته عنه الاشر يخال سقيما ﴿ ومنه ايضا قول الحكم الخضرى ﴾

* قد كان يعجب بعضهن براعتى * حتى سمعن تنحنحى وسعالى *

فاراد وصف الكبر باللفظ بعينه ولكنه اتى بتوابعه وهى السعال والتنحنح ومن هذا النوع ما يدخل فى الابيات التى يسمونها ابيات المعانى وذلك اذا ذكر الردف وحده وكان وجه اتباعه لما هو ردف له غير ظاهر او كانت بينه وبينه ارداف اخر كأنها وسائط وكثرت حتى لا يظهر الشئ المطلوب بسرعة اذا غمض ولم يكن داخلا فى جملة ما ينسب الى جيد الشعر اذ كان من عيوب الشعر الانغلاق وتعذر العلم بمعناه

﴿ ومن نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى التمثيل ﴾

وهو ان يريد الشاعر اشارة الى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر وذلك

المعنى الآخر والكلام ينبئان عما اراد ان يشير اليه ﴿ مثال ذلك قول الرماح ابن ميادة ﴾

* ألم تك فى يمنى يديك جعلتنى * فلا تجعلنى بعدها فى شمالكا *
* ولو اننى اذنبت ما كنت هالكا * على خصلة من صالحات مهالكا *

فعدل عن ان يقول فى البيت الاول انه كان عنده مقدما فلا يؤخره او مقربا فلا يبعده او مجتبى فلا يجتنبه الى ان قال انه كان فى يمنى يديه فلا يجعله فى اليسرى ذهابا نحو الامر الذى قصد الاشارة اليه بلفظ ومعنى يجريان مجرى المثل له والابداع فى المقالة وعلى ذلك قول عمير بن الايهم

* راح القطين من الاوطان او بكروا * وصدقوا من نهار الامس ما ذكروا *
* قالوا لنا وعرفنا بعد بينهم * قولا فما وردوا عنه ولا صدروا *

فكان يستغنى عن قوله فما وردوا عنه ولا صدروا بان يقول فما تعدوه او فما تجاوزوه ولكن لم يكن له من موقع الايضاح وغرابة المثل ما لقوله فما وردوا عنه ولا صدروا ﴿ ومن هذا قول بعض بنى كلاب ﴾

* دع الشر واحلل بالنجاة تعزلا * اذا هو لم يصبغك فى الشر صابغ *
* ولكن اذا ما الشر ثار دفينه * عليك فانضح منه ما انت دابغ *

فاكثر اللفظ والمعنى فى هذين البيتين جار على سبيل التمثيل وقد كان يجوز ان يقال مكان ما قيل فيه دع الشر ما لم تنشب فيه فاذا نشبت فيه فبالغ ولكن لم يكن لذلك من الحظ فى الكلام الشعرى والتمثيل الظريف ما لقول الكلابى

﴿ ومن هذا قول الآخر ﴾

* تركت الركاب لاربابها * واكرهت نفسى على ابن الصعق *
* جعلت يدىّ وشاحا له * فاجزأ ذاك عن المعتنق *

قوله جعلت يدىّ وشاحا له اشارة بعيدة بغير لفظ الاعتناق وهى دالة عليه

﴿ ومنه قول يزيد بن مالك الغامدى ﴾

* فان اسمعوا ضبحا زأرنا فلم يكن * شبيها بزأر الاسد ضبح الثعالب *

فقد اشار الى قوتهم وضعف اعدائهم اشارة مستغربة لها من الموقع بالتمثيل ما لم يكن لو ذكر الشئ المشار اليه بلفظه ﴿ ومثل ذلك قول عبد الرحمن بن على ابن علقمة بن عبدة ﴾

* اوردتهم وصدور العيس مسنفة * والصبح بالكوكب الدرى منحور *

فقد اشار الى الفجر اشارة ظريفة بغير لفظه ﴿ وكذلك قول اللعين المنقرى يصف ناره ﴾

* رأى ام نيران عوانا تكفها * باعرافها هوج الرياح الطرائد *

فقد اوما بقوله ام نيران الى قدمها وعوانا الى كثرة عادته لايقادها ايماء غريبا ظريفا وان كانت العرب تذكر ذلك فى النار كثيرا ﴿ وقال بعض الاعراب ﴾

* فتى صدمته الكاس حتى كأنما * به فالج من دائها فهو يرعش *

فالكأس لا تصدم ولكنه اشار بهذا التمثيل اشارة حسنة الى سكره

﴿ وقال عباس بن مرداس ﴾

* كانوا امام المسلمين دريئة * والبيض يومئذ عليهم اشمس *

يريد ان البيض عليهم قد صارت شموسا وقد يضع الناس من صفات الشعر المطابق والمجانس وهما داخلان فى باب ائتلاف اللفظ والمعنى ومعناهما ان تكون فى الشعر معان متغايرة قد اشتركت فى لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة فاما المطابق فهو ما يشترك فى لفظة واحدة بعينها مثل قول زياد الاعجم

* ونبئتهم يستنصرون بكاهل * واللؤم فيهم كاهل وسنام *

﴿ وقال الافوه الازدى ﴾

* واقطع الهوجل مستأنسا * بهوجل عيدانة عنتريس *

فلفظة الهوجل فى هذا الشعر واحدة قد اشتركت فى معنيين لان الاول يعنى الارض والثانى الناقة ﴿ وكذلك قول ابى دؤاد الايادى ﴾

* عهدت لها منزلا داثرا * والا على الماء يحملن الا *

فالا الاولى فى المعنى غير الثانى لان الاول اعمدة الخيام والثانى من السراب

واما

واما المجانس فان تكون المعانى اشتراكها فى الفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق مثل قول زهير

* كأن عينى وقد سال السليل بهم * وجيرة ماؤهم لو انهم امم *

﴿ ومثل قول العوام فى يوم العظالى ﴾

* وفاض اسيراها به وكأنما * مفارق مفروق تغشين عندما *

﴿ ومثل قول حيان بن ربيعة الطائى ﴾

* لقد علم القبائل ان قومى * لهم حد اذا لبس الحديد *

﴿ ومثل قول الفرزدق ﴾

* جفاف اجف الله منه سحابه * واوسعه من كل ساف وصاحب *

﴿ ومثل قول الكميت ﴾

* فقل لجذام قد جذمتم وسيلة * الينا كمختار الرداف على الرحل *

﴿ ومثل قول مسكين الدارمى ﴾

* واقطع الخرق بالخرقاء لاهية * اذا الكواكب كانت فى السما سرجا *

﴿ وكما قال النعمان بن بشير لمعاوية بن ابى سفيان ﴾

* ألم تبتدركم يوم بدر سيوفنا * وليلك عما ناب قومك نائم *

﴿ وقال ذو الرمة ﴾

* كأن البرى والعاج عيجت متونه * على عشر نهى به السيل ابطح *

﴿ وقال رجل من بنى عبس ﴾

* ان ذل جاركم بالكره حالفكم * وان آنفكم لا يعرف الانفا *

﴿ وقال المرار ﴾

* واعطفنى ان ارى زائرا * واختلف الحى قوما خلوفا *

﴿ نعت ائتلاف اللفظ والوزن ﴾

وهو ان تكون الاسماء والافعال فى الشعر تامة مستقيمة كما بنيت لم يضطر

الامر في الوزن الى نقصها عن البنية بالزيادة عليها والنقصان منها وان تكون اوضاع الاسماء والافعال والمؤلفة منها وهى الاقوال على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن الى تأخير ما يجب تقديمه ولا الى تقديم ما يجب تأخيره منها ولا اضطر ايضا الى اضافة لفظة اخرى يلتبس المعنى بها بل يكون الموصوف مقدما والصفة مقولة عليها وغير ذلك مما لو ذهبنا الى شرحه لاحتجنا الى اثبات كثير من صناعتي المنطق والنحو فى هذا الكتاب فكان يصعب النظر فيه على اكثر الناس ولكن فى ما اجملته فى هذا القول واشرت اليه من التنبيه على الطريق التى يعرف بها جودة هذا الباب ما كفى واغنى عند ذوى القرائح السليمة ومن قد تعلق ببعض الآداب السهلة ومن هذا الباب ايضا ان لا يكون الوزن قد اضطر الى ادخال معنى ليس الغرض فى الشعر محتاجا اليه حتى اذا حذف لم تنقص الدلالة لحذفه او اسقاط معنى لا يتم الغرض المقصود الا به حتى ان فقده قد اثر فى الشعر تأثيرا بان موقعه ولم آت فى هذا الباب بامثلة لان كل شعر سليم مما ذكرت مثال لذلك فاما الاشعار التى تسلم منه فانا اذكرها فى باب عيوب الشعر ان شاء الله تعالى

﴿ نعت ائتلاف المعنى والوزن ﴾

هو ان تكون المعانى تامة مستوفاة لم تضطر باقامة الوزن الى نقصها عن الواجب ولا الى الزيادة فيها عليه وان تكون المعانى ايضا مواجهة للغرض لم تمتنع عن ذلك وتعدل عنه من اجل اقامة الوزن والطلب لصحته والسبب فى تركنا ان نأتى لهذا الجنس بامثلة الشعر هو السبب فى تركنا ذلك فى باب ائتلاف اللفظ مع الوزن ونحن نذكر ما يجب ذكره من امثلة عيوب هذا الباب فى جملة ما سنذكره من عيوب الشعر

﴿ نعت ائتلاف القافية ﴾

هو مع ما يدل عليه سائر البيت ان تكون القافية متعلقة بما تقدم من معنى البيت تعلق نظم له وملائمة لما مر فيه فمن انواع ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر

معنى البيت ❊ التوشيح ❊ وهو ان يكون اول البيت شاهدا بقافيته ومعناها متعلقا به حتى ان الذى يعرف قافية القصيدة التى البيت منها اذا سمع اول البيت عرف آخره وبانت له قافيته ❊ مثال ذلك قول الراعى ❊

* وان وزن الحصى فوزنت قومى * وجدت حصى ضريبتهم رزينا *

فاذا سمع الانسان اول هذا البيت استخرج منهـا لفظة قافيته لانه يعلم ان قوله وزن الحصى سيأتى بعده رزين لعلتين احداهمـا ان قافية القصيدة توجبه والاخرى ان نظام المعنى يقتضيه لان الذى يفاخره برجاحة الحصى يلزمه ان يقول فى حصاه انه رزين ❊ وقول عباس بن مرداس ❊

* هم سودوا هجنا وكل قبيلة * يبين عن احسابها من يسودها *

فمن تأمل هذا البيت وجد اوله يشهد بقافيته ❊ وقول نصيب ❊

* فقد ايقنت ان ستزول ليلى * وتحجب عنك ان نفع اليقين *

❊ وقول مضرس بن ربعى ❊

* تمنيت ان ألقى سليما ومالكا * على ساعة تنسى الحليم الامانيا *

ومن انواع ائتلاف القافية مع سائر معنى البيت ❊ الايغال ❊ وهو ان يأتى الشاعر بالمعنى فى البيت تاما من غير ان يكون للقافية فى ما ذكره صنع ثم يأتى بهـا لحاجة الشعر فيزيد بمعناها فى تجويد ما ذكره من المعنى فى البيت كما قال امرؤ القيس

* كأن عيون الوحش حول خبائنا * وارحلنا الجزع الذى لم يثقب *

فقد اتى امرؤ القيس على التشبيه كاملاً قبل القافيـة وذلك ان عيون الوحش شبيهة به ثم لما جاء بالقافية اوغل بها فى الوصف ووكده وهو قوله الذى لم يثقب فان عيون الوحش غير مثقبة وهى بالجزع الذى لم يثقب ادخل فى التشبيه

❊ وقال زهير ❊

* كأن فتات العهن فى كل منزل * نزلت به حب الفنا لم يحطم *

فالعهن هو الصوف الاحمر والفنا حب تنبته الارض احمر فقد اتى على الوصف

قبل القافية لكن حب الفنا اذا كسر كان مكسره غير احمر فاستظهر فى القافية لما ان جاء بها بان قال لم يحطم فكأنه وكد التشبيه بايغاله فى المعنى

ومثله

* اذا ما جرى شأوين وابتل عطفه * تقول هزيز الريح مرت باثاب *

فقد تم الوصف والتشبيه قبل القافية لانه يكفى ان يشبه خفيف جرى الفرس بالريح فلما اتى بالقافية اوغل ايغالا زاد به فى المعنى وذلك ان الاثاب شجر للريح فى اغصانه خفيف شديد • ومما يدل على ان المعانى قد كانت فى نفوس الناس قديما ان ابا العباس محمد بن يزيد النحوى قال حدثنى الثورى قال قلت للاصمعى من اشعر الناس فقال من يأتى الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا او الى الكبير فيجعله بلفظه خسيسا او ينقضى كلامه قبل القافية فاذا احتاج اليها افاد بها معنى قال قلت نحو من قال نحو ذى الرمة حيث يقول

* قف العيس فى اطلال مية فاسأل * رسوما كاخلاق الرداء المسلسل *

فتم كلامه قبل المسلسل ثم قال المسلسل فزاد شيئا ثم قال

* اظن الذى يجدى عليك سؤالها * دموعا كتبديد الجمان المفصل *

فتم كلامهم ثم احتاج الى القافية فقال المفصل فزاد شيئا قال قلت ونحو من قال الاعشى حيث قال

* كناطح صخرة يوما ليفلقها * فلم يضرها واوهى قرنه الوعل *

فتم مثله الى قوله قرنه ثم احتاج الى القافية فقال الوعل مفضلا على كل ما ينطح قال كيف قال لانه ينحت من قلة الجبل على قرنه فلا يضره

الفصل الثالث

واذ قد اتيت على ما ظننت انه نعت للشعر وعددت اجناس ذلك وفصلت انواعه فالآن احب ان ابتدئ بذكر عيوب الشعر واذكر اجناس ذلك على الترتيب الذى رتبت النعوت عليه وبحسب تلك السياقة

عيوب اللفظ

ان يكون ملحونا وجاريا على غير سبيل الاعراب واللغة وقد تقدم من استقصى هذا الباب وهم واضعوا صناعة النحو وان يرتكب الشاعر فيه ما ليس يستعمل ولا يتكلم به الا شاذا وذلك هو الحوشي الذى مدح عمر بن الخطاب زهيرا بمجانبته له وتنكبه اياه فقال كان لا يتبع حوشي الكلام وهذا الباب مجوز للقدماء ليس من اجل انه حسن لكن من شعرائهم من كان اعرابيا قد غلبت عليه العجرفة ومست الحاجة الى الاستشهاد باشعارهم فى الغريب ولان من كان يأتى منهم بالحوشي لم يكن يأتى به الى على جهة التطلب و التكلف لما استعمله منه لكن بعادته وعلى سجية لفظه فاما اصحاب التكلف لذلك فهم يأتون منه بما ينافر الطبع وينبو عنه السمع مثل شعر ابى حزام غالب بن الحارث العكلى وكان فى زمن المهدى وله فى ابى عبيد الله قصيدة اولها

* تذكرت سلمى واهلاسها * فلم انس والشوق ذو مطرؤه *

﴿ وفيها يقول ﴾

* لحى الوزير امام الهدى * وهو بالارب ذو مجبؤه *
* يسوس الامور فتأتى له * وما فى عزيمته منهؤه *
* وفى بالامانة صفو التقى * وما الصفو بالرنق المحمؤه *
* وعند معاوية المصطفى * حبا غير ماج ولا مطرؤه *
* فقال الوزير الامين انظموا * قريضا عويصا على اللولؤه *
* فقيدت مرتفقا وحيه * بغير انصباب الى المشكؤه *
* سعيدى من الحق ذو فطنة * معى فى العواقب والمبدؤه *
* بيوتا على لهما وجهة * بغير السناد ولا المكفؤه *

ومثل شعر احمد بن جحدر الخراسانى فى مالك بن طوق ويقال انها لمحمد بن عبد الرحمن الغريبى الكوفى فى عيسى الاشعرى

* هيا منزل الحى حيث الغضا * سلامك ان النوى تصرم *

* ويا طللا آية ما ارتمت * بليلاك غربتها المرجم *
* حلفت بما ارقلت نحوه * همرجلة خلقها شيظم *
* وما شرقت من تنوفية * بها من وحى الجن زيزرزم *

فبلغنى انه انشد ابن الاعرابى هذه القصيدة فلما بلغ الى ههنا قال له ابن الاعرابى ان كنت جادا فحسبك الله ﴿ ومنها ﴾

* لام لكم نجلت مالكا * من الشمس او نجلات اكرم *
* ومن اين مثلك لا اين هو * اذا الريق اقفر منه الفم *

ومن الاعراب ايضا من شعره فظيع التوحيش مثل ما انشدناه احمد بن يحيى عن ابن الاعرابى لمحمد بن علقمة التيمى يقولها لرجل من كلب يقال له ابن الفنشخ وورد عليه فلم يسقه

* افرخ اذا كلب وافرخ افرخ * اخطأت وجه الحق فى التطخطخ *
* اما ورب الراقصات الزمخ * يخرجن ما بين الجبال الشمخ *
* يزرن بيت الله عند المصرخ * لتطمحن برشا ممطخ *
* ماء سوى مائى يا ابن الفنشخ * او لتجيئن بوشى بخ بخ *
* من كيس ذى كيس وضأن منفخ * قد ضمه حولين لم يسبخ *
* صم الصماليخ صماخ الاصلخ *

ومن عيوب اللفظ المعاظلة وهى التى وصف عمر بن الخطاب زهيرا بمجانبته لها ايضا حيث قال وكان لا يعاظل بين الكلام وسألت احمد بن يحيى عن المعاظلة فقال مداخلة الشئ فى الشئ يقال تعاظلت الجرادتان وعاظل الرجل المرأة اذا ركب احدهما الآخر واذا كان الامر كذلك فمن المحال ان تنكر مداخلة بعض الكلام فى ما يشبهه من وجه او فى ما كان من جنسه وبقى النكير انما هو فى ان يدخل بعضه فى ما ليس من جنسه وما هو غير لائق به وما اعرف ذلك الا فاحش الاستعارة ﴿ مثل قول اوس ﴾

* وذات هدم عار نواشرها * تسمط بالماء تولبا جدعا *

فسمى الصبى تولبا وهو ولد الحمار ﴿ ومثل قول الآخر ﴾

وما

* وما رقد الولدان حتى رأيته * على البكر يمريه بساق وحافر *

فسمى رجل الانسان حافرا فان ما جرى هذا المجرى من الاستعارة قبيح لا عذر فيه وقد استعمل كثير من الشعراء الفحول المجيدين اشياء من الاستعارة ليس فيها شناعة كهذه وفيها لهم معاذير اذا كان مخرجها مخرج التشبيه ﴿ فمن ذلك قول امرئ القيس ﴾

* فقلت له لما تمطى بصلبه * واردف اعجازا وناء بكلكل *

كأنه اراد ان هذا الليل فى تطاوله كالذى يتمطى بصلبه لا ان له صلبا وهذا مخرج لفظه اذا تؤمل ﴿ ومنه قول زهير ﴾

* صحا القلب عن سلمى واقصر باطله * وعرى افراس الصبى ورواحله *

فكأن مخرج كلام زهير انما هو مخرج كلام من اراد انه كما ان الافراس للحرب وانما تعرى عند تركها ووضعها فكذلك تعرى افراس الصبى ان كانت له افراس عند تركه والعزوف عنه ﴿ وكذلك قول اوس بن حجر ﴾

* وانى امرؤ اعددت للحرب بعدما * رأيت لها نابا من الشر اعصلا *

فانه انما اراد ان هذه الحرب قديمة قد اشتد امرها كما يكون ناب البعير اعصل اذا طال عمره واشتد ﴿ وكذلك قول عنترة العبسى ﴾

* جادت عليها كل بكر حرة * فتركن كل قرارة كالدرهم *

﴿ وقول طفيل الغنوى ﴾

* وجلت كورى خلف ناجية * يقتات شحم سنامها الرحل *

﴿ وقول عمرو بن كلثوم ﴾

* ألا ابلغ النعمان عنى رسالة * فمجدك حولى ولومك قارح *

﴿ وقول ابى ذؤيب الهذلى ﴾

* واذا المنية انشبت اظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع *

﴿ وقول اوس بن معز يهجو بنى عامر ﴾

* يشيب على لؤم الفعال كبيرها * ويغذى بثدى اللؤم منها وليدها *

﴿ وقال المخبل ﴾

* يعالج عزا قد عسا عظم رأسه * قراسية كالفحل يصرف بازله *

فما جرى هذا المجرى مما له مجاز كان اخف واسهل مما فحش ولم يعرف له مجاز وكان منافرا للعادة بعيدا مما يستعمل الناس مثله ولنتبع الكلام فى عيوب اللفظ عيوب الوزن

﴿ الكلام فى عيوب الوزن ﴾

من عيوبه الخروج عن العروض وقد تقدم من استقصى هذه الصناعة الا ان من عيوبه التخلع وهو ان يكون قبيح الوزن قد افرط فى تزحيفه وجعل ذلك بنية للشعر كله حتى ميله الى الانكسار واخرجه من باب الشعر الذى يعرف السامع له صحة وزنه فى اول وهلة الى ما ينكره حتى ينعم ذوقه او يعرضه على العروض فيصح فيه فان ما جرى هذا المجرى من الشعر ناقص الطلاوة قليل الحلاوة ﴿ وذلك مثل قول الاسود بن يعفر ﴾

* انا ذممنا على ما خيلت * سعد بن زيد وعمرو من تميم *

* وضبة المشترى العار بنا * وذاك عم بنا غير رحيم *

* لا ينتهون الدهر عن مولى لنا * فورك بالسهم حافات الاديم *

* ونحن قوم لنا رماح * وثروة من موال وصميم *

* لا نشتكى الوصم فى الحرب * ولا نئن كنانات السليم *

﴿ ومثل قول عروة بن الورد ﴾

* يا هند بنت ابى ذراع * اخلفتنى ظنى وبرتنى عشنق *

* ونكحت راعى ثلة يثمرها * والدهر فانته بما يبقى *

﴿ ومثل قصيدة عبيد بن الابرص وفيها ابيات قد خرجت عن العروض البتة ﴾

﴿ وقبح ذلك جودة الشعر حتى اصاره الى حد الردئ فمن ذلك قوله ﴾

* والمرء ما عاش فى تكذيب * طول الحياة له تعذيب *

فهذا معنى جيد ولفظ حسن الا ان وزنه قد شانه وقبح حسنه وافسد جيده فما

جرى

جرى من التزحيف هذا المجرى فى القصيدة او الابيات كلها او اكثرها كان قبيحا من اجل افراطه فى التخليع مرة ومن اجل دوامه وكثرته ثانية وانما يستحب من التزحيف ما كان غير مفرط وكان فى بيت او بيتين من القصيدة من غير توال ولا اتساق ولا افراط يخرجه عن الوزن مثل ما قال متمم بن نويرة

* وفقد بنى ام تداعوا فلم اكن * خلافهم لاستكين واضرعا *

فاما الافراط والدوام فقبيح • وقال اسحاق يحكى عن يونس انه قال اهون عيوب الشعر الزحاف وهو ان تنقص الجزء عن سائر الاجزاء فمنه ما نقصانه اخفى ومنه ما هو اشنع وهو جائز فى العروض ﴿ قال خالد ابن اخى ابى ذؤيب الهذلى ﴾

* لعلك اما ام عمرو تبدلت * سواك خليلا شاتمى تستخيرها *

فهذا مزاحف فى كاف سواك ومن انشد خليلا سواك كان اشنع قال كان الخليل ابن احمد رحمه الله يستحسنه فى الشعر اذا قل منه البيت والبيتان فاذا توالى وكثر فى القصيدة سمج قال اسحاق فان قيل كيف يستحسن وهو عيب قلنا قد يكون مثل هذا الحول واللثغ فى الجارية يشتهى القليل منه فان كثر هجن وسمج والوضح فى الخيل يشتهى ويستظرف خفيفة الغرة والتحجيل فاذا فشا وكثر كان هجنة ووهنا قال وخفيف البلق يحتمل ولم ارابلق سابقا ولم اسمع به ولنتبع الكلام فى عيوب الوزن عيوب القوافى

﴿ الكلام فى عيوب القوافى ﴾

ولندع ما اتى به لمن استقصى ذلك فى ما وصفه فى الكتب اذ كان لا ارب فى اعادته ولكننا نتكلم فى ذلك بظاهر ما يعرفه جمهور الناس من المعايب التى ليست من جنس ما وضعت فيه الكتب ولنذكر مما وضع فيها ما كانت القدماء تعيب به دون غيره • فمن ذلك ﴿ التجميع ﴾ وهو ان تكون قافية المصراع الاول من البيت الاول على روى متهيئ لان تكون قافية آخر البيت فتأتى بخلافه

﴿ مثل ما قال عمر بن شاش ﴾

* تذكرت ليلى لات حين اذكارها * وقد جنى الاصلاب ضلا بتضلال *

﴿ ومثل قول الشماخ ﴾

* لمن منزل عاف ورسم منازل * عفت بعد عهد العاهدين رياضها *

ومن عيوبها ﴿ الاقواء ﴾ وهو ان يختلف اعراب القوافى فتكون قافية مرفوعة مثلا واخرى مخفوضة وهذا فى شعر الاعراب كثير جدا وفى من دون الفحول من الشعراء وقد ارتكب بعض فحول الشعراء الاقواء فى مواضع مثل سحيم بن وثيل الرياحى

* عذرت البزل ان هى خاطرتنى * فما بالى وبال ابن اللبون *
* وماذا تبتغى الشعراء منى * وقد جاوزت حد الاربعين *

فنون الاربعين مفتوحة ونون اللبون مكسورة ولكنه كأنه وقف القوافى فلم يحركها ﴿ وقال جرير ﴾

* عرين من عرينة ليس منا * برئت الى عرينة من عرين *
* عرفنا جعفرا وبنى عبيد * وانكرنا زعانف آخرين *

ومنه ﴿ الايطاء ﴾ وهو ان تتفق القافيتان فى قصيدة فان زادت على اثنين فهو اسمج فان اتفق اللفظ واختلف المعنى كان جائزا كقولك اريد خيارا واوثر خيارا اى تريد خيارا من الله لك فى كذا وخيار الشئ اجوده والايطاء من المواطأة اى الموافقة قال الله تبارك وتعالى وليواطؤا عدة ما حرم الله اى ليوافقوا

ومنه ﴿ السناد ﴾ وهو ان يختلف تصريف القافيتين كما قال عدى بن زيد

* ففاجأها وقد جمعت جموعا * على ابواب حصن مصلتينا *
* فقدمت الاديم لراهشيه * وألفى قولها كذبا ومينا *

﴿ وكقول الفضل بن العباس اللهبى ﴾

* عبد شمس ابى فان كنت غضبى * فاملأى وجهك المليح خموشا *

نحن

* نحن كنا سكانها من قريش * وبنا سميت قريش قريشا *

والسناد من قولهم خرج بنو فلان برأسين متساندين اى كل فريق منهم على حياله وهو مثل ما قالوا كانت قريش يوم الفخار متساندين اى لا يقودهم رجل واحد ولنتبع ذلك بالكلام على عيوب المعانى

﴿ عيوب المعانى ﴾

قد كنا قدمنا فى باب النعوت ان جملتها ان يكون المعنى مواجها للغرض غير عادل عنه الى جهة اخرى وبينا من الاغراض التى تتنحيها الشعراء فى ذلك الموضع ما اذا حفظ عرف العيب بالعدول عنه وبدأنا فى باب المديح بامور جعلناها امثلة فلا بأس ان نأتى فى امثالها بامثلة ايضا

﴿ ذكر المديح ﴾

لما كنا قدمنا من حال المديح الجارى على الصواب ما انبأنا انه الذى يقصد فيه المدح للشئ بفضائله الخاصة به لا بما هو عرضى فيه وجعلنا مديح الرجال مثالا فى ذلك وذكرنا ان من قصد لمدحهم بالفضائل النفسية كان مصيبا وجب ان يكون ما يأتى به من المدح على خلاف الجهة التى ذكرناها فى النعوت معيبا * ومن الامثلة الجياد فى هذا الموضع ما قاله عبد الملك بن مروان لعبيد الله بن قيس الرقيات حيث عتب عليه فى مدحه اياه فقال له انك قلت فى مصعب بن الزبير

* انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء *

﴿ وقلت فىّ ﴾

* يأتلق التاج فوق مفرقه * على جبين كأنه الذهب *

فوجه عتب عبد الملك انما هو من اجل ان هذا المادح عدل به عن بعض الفضائل النفسية التى هى العقل والعفة والعدل والشجاعة الى ما يليق باوصاف الجسم فى البهاء والزينة وقد كنا قدمنا ان ذلك غلط وعيب

﴿ ومنه قول ايمن بن خزيم فى بشر بن مروان ﴾

* يا ابن الذوائب والذرى والارؤس * والفرع من مضر العفرنى الانفس *
* يا ابن المكارم من قريش ذا العلى * وابن الخلائف وابن كل قلمس *
* من فرع آدم كابرا عن كابر * حتى انتهيت الى ابيك العنبسى *
* مروان ان قناته خطية * غرست ارومتها اعز المغرس *
* وبنيت عند مقام ربك قبة * خضراء كلل تاجها بالفسفس *
* فسماؤها ذهب واسفل ارضها * ورق تلألأ فى البهيم الحندس *

فما فى هذه الابيات شئ يتعلق بالمدح الحقيق وذلك ان كثيرا من الناس لا يكونون كآبائهم فى الفضل فلم يصف هذا الشاعر غير الآباء ولم يصف الممدوح بفضيلة فى نفسه اصلا ٭ وذكر بعد ذلك بناءه قبة ثم وصف القبة انها من الذهب والفضة وهذا ايضا ليس من المدح لان فى الملك والثروة مع الصنعة والفهم ما يمكن معه بناء القباب الحسنة واتخاذ كل آلة فائقة ولكن ليس ذلك مدحا يعتد به ولا جاريا على حقه ومما نذكره فى هذا الموضع ليصح به شدة قبح هذا المدح قول اسجع بن عمرو فى المدح بما يخالف اليسار

* يريد الملوك ندى جعفر * ولا يصنعون كما يصنع *
* وليس باوسعهم فى الغنى * ولكن معروفه اوسع *

فقد احسن هذا الشاعر حيث لم يجعل الغنى واليسار فضيلة بل جعلها غيرهما

﴿ وقال ايضا ايمن بن خزيم فى بشر ﴾

* فلو اعطاك بشر الف الف * رأى حقا عليه ان يزيدا *
* واعقب مدحتى سرجا خلنجا * وابيض جوزجانيا عقودا *
* فانا قد وجدنا ام بشر * كام الاسد مذكارا ولودا *

فجميع هذا المدح على غير الصواب وذلك انه اومأ الى المدح والتناهى فى الجود اولا ثم افسده فى البيت الثانى بذكر السرج وغيره ثم ذكر فى البيت الثالث ما هو الى ان يكون ذما اقرب وذلك انه جعل امه ولودا والناس مجمعون على ان نتاج الحيوانات الكريمة يكون انزر ﴿ ومنه قول الشاعر ﴾

بغاث

* بغاث الطير اكثرها فراخا * وام الصقر مقلات نزور *

﴿ ذكر عيوب الهجاء ﴾

كما ان معرفة رداءة المدح كانت سهلة جيدة فكذلك عيب الهجاء يسهل الطريق الى العلم به ما تقدم فى باب نعته وجماع القول فيه انه متى سلب المهجو امورا لا تجانس الفضائل النفسانية كان ذلك عيبا فى الهجاء مثل ان ينسب الى انه قبيح الوجه او صغير الحجم او ضئيل الجسم او مقتر او معسر او من قوم ليسوا باشراف اذا كانت افعاله فى نفسه جميلة وخصاله كريمة نبيلة او ان يكون ابواه مخطئين اذا كان مصيبا وغويين اذا وجد رشيدا سديدا او بقلة العدد اذا كان كريما وعدم النضار اذا كان راجحا شهما فلست ارى ذلك هجاء جاريا على الحق • ومما يدل على ذلك بعد القياس الصحيح والنظر الصريح اشعار واقوال اعددها ﴿ فنها ما انشدناه ابو العباس احمد بن يحيى ﴾

* رأت نصف اسفار امية قاعدا * على نصف اسفار يحن جنونها *
* فقالت من اى الناس انت اتيتنا * فانك راعى ثلة لا تزينها *
* فقلت لها ليس الشحوب على الفتى * بعار ولا خير الرجال سمينها *

فهذا صريح فى ان القبح والشحوب والسماجة ليست بعار ﴿ ومن هذا ايضا ﴾ قول بعضهم فى ابن له ازدراه رجال فنعهم من نعمه فاغاروا عليها

* رأوه فازدروه وهو خرق * وينفع اهله الرجل القبيح *

﴿ ومن الابيات الاول فى ان قلة المال ليست عارا قوله ﴾

* عليك براعى ثلة مسلحبة * يروح عليه محضها وحقينها *
* سمين الضواحى لم تورقه ليلة * وان عم ابكار الهموم وعونها *

﴿ وللسموأل فى ان قلة العدد ليس عيبا ولا سبة ﴾

* تعيرنا انا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل *
* وما ضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل *

فعدى هذا الشاعر عن الهجاء الذى عيرتهم به هذه المعيرة واحتج فيه بما دل على انه غير ضائر ثم وصف بعد ذلك نفسه وقومه بالاوصاف التى تليق بذكرنا اياها فى هذا الموضع للمنفعة فى تعليم الهجاء الجارى على الصواب فقال

* وانا لقوم لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول *
* يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول *
* وما مات منا سيد حتف انفه * ولا طل منا حيث مات قتيل *
* لنا جبل يحتله من يجيره * منيع يرد الطرف وهو كليل *

فاتى فى هذه الابيات بالمدح من جهة الشجاعة والباس والعز ثم قال

* وننكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حيث نقول *
* اذا سيد منا خلا قام سيد * قؤول لما قال الكرام فعول *
* سلى ان جهلت الناس عنا وعنهم * فليس سواء عالم وجهول *

فاتى فى هذه الابيات بالوصف والمدح من جهة العقل والرأى والفهم ثم قال

* فنحن كماء المزن ما فى نصابنا * كهام ولا فينا يعد بخيل *

فاتى بالمدح من جهة الجود وهو احد اقسام العدل كما بينا ثم قال

* صفونا فلم نكدر واخلص سرنا * اناث اطابت حملنا وفحول *

فاتى بالمدح من جهة العفة اذ كان فى ذكره طيب الحمل دليل على ذلك أفلا ترى ان هذا الشاعر لما علم ان المعيرة لم تأت بما يضرهم احتج فى ذلك بما يزيل الظنة عنهم ثم عمد الى الفضائل التى هى فضائل بالحقيقة فاوجبها فكأنه ارى بهذا الفعل ان ما قالته المعيرة جاريا على غير الصواب ❁ وانشد احمد بن يحيى فى هذا المعنى ❁

* وانى لا اخزى اذا قيل مملق * جواد واخزى ان يقال بخيل *

وبلغنى ان ابن الزبير لما دخل الشام ناداه اهله يا ابن النطاقين فقال لابن ابى عتيق * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها * فابان بهذا القول انه لا يلزمه ما يقال فى امه فاذا تؤمل ما ذكرته فى هذا الباب لم يبعد الوقوف على عيب الهجاء كيف يتعرف

﴿ عيوب المراثى ﴾

واما المراثى ففى ما قدمته فى باب نعوتها ايضا ما ابان عن الوجه فى باب عيوبها اذا كان النظر صحيحا والفكر سليما

﴿ واما عيب التشبيه ﴾

فذلك سبيله ايضا لمن كان حافظا لما تقدم من اقوالنا فى باب نعوته

﴿ واما عيب الوصف ﴾

فى المضادة فى باب نعوته

﴿ واما الغزل ﴾

فالقول فيه كالقول فى ما مر من هذه الابواب اذ كان عيبه انما هو مضادة ما قدمنا ذكره فى باب نعته ومن الغزل الجارى على تلك المضادة وفيه مع انه مثال فى هذا الموضع للعيب توكيدا لما قدمناه فى باب النعوت قول اسحاق الاعرج مولى عبد العزيز بن مروان

* فلما بدا لى ما راعنى * نزعت نزوع الابى الكريم *

وبلغنى ان ابا السائب المخزومى لما انشد هذا البيت قال قبحه الله لا والله ما احبيتها ساعة قط ﴿ ومثله لنابغة بنى تغلب واسمه الحارث بن عدوان ﴾

* هجرت امامة هجرا طويلا * وما كان هجرك الا جميلا *
* على غير بغض ولا عن قلى * وليس حياء وليس ذهولا *
* ولكن بخلنا لبخلك عمدا * فكيف يلوم البخيل البخيلا *

ولما كان المذهب فى الغزل انما هو الرقة واللطافة والشكل والدماثة كان مما يحتاج فيه ان تكون الالفاظ لطيفة مستعذبة مقبولة غير مستكرهة فاذا كانت جاسية كان ذلك عيبا الا انه لما لم يكن عيبا على الاطلاق امكن ان يكون حسنا اذ كان قد يحتاج الى الخشونة فى مواضع مثل ذكر البسالة والنجدة والباس

والرهبة وكان احق المواضع التى يكون فيها عيبا الغزل لمنافرته تلك الاحوال وتباعده منها ﴿ فمن الكلام المستثقل فى الغزل قول عبد الرحمن بن عبد الله القس ﴾

* ان تنأ دارك لا امل تذكرا * وعليك منى رحمة وسلام *

﴿ ومن المستخشن قول هذا الشاعر ﴾

* سلام ليت لسانا تنطقين به * قبل الذى ناله من صوته قطعا *

فما رأيت اغلظ ممن يدعو على محبوبته بقطع لسانها حيث اجادت فى غنائها له

﴿ فاما العيوب العامة للمعانى ﴾

من الاغراض التى ذكرناها وغيرها وعموم ذلك اياها كعموم النعوت التى قدمنا وعدد فى ابوابها ﴿ فمنها فساد الاقسام ﴾ وذلك يكون اما بان يكررها الشاعر او يأتى بقسمين احدهما تحت الآخر فى الوقت الحاضر او يجوز ان يدخل احدهما فى الآخر فى المستأنف وان يدع بعضها فلا يأتى به فاما التكرير فمثل قول هذيل الاشجعى

* فما برحت تومى الىّ بطرفها * وتومض احيانا اذا خصمها غفل *

لان تومض وتومى بطرفها متساويان فى المعنى • واما دخول احد القسمين فى الآخر فمثل قول احدهم

* ابادر اهلاك مستهلك * لمالى او عبث العابث *

فعبث العابث داخل فى اهلاك مستهلك • ومثل قول امية بن ابى الصلت

* لله نعمتنا تبارك ربنا * رب الانام ورب من يتأبد *

فليس يجوز ان يكون امية اراد بقوله الوحش وذلك ان من لا تقع على الحيوان غير الناطق • واذا كان الامر على هذا فمن لا يتوحش داخل فى الانام او يكون اراد بقوله يتأبد اى يتقوت من الابد وذلك داخل فى الانام واما ان يكون القسمان مما يجوز دخول احدهما فى الآخر مثل قول ابى عدى القرشى

غير

* غير ما ان اكون نلت نوالا * من نداها عفوا ولا مهنئا *

فالعفو قد يجوز ان يكون مهنئا والمهنئ قد يجوز ان يكون عفوا • وقد ضحك من انوك سأل مرة فقال علقمة بن عبدة جاهلي ام من بني تميم فان الجاهلي قد يكون من بني تميم او من بني عامر والتميمي قد يكون اسلاميا وجاهليا

﴿ ومن ذلك قول عبد الله بن سليم الغامدي ﴾

* فهبطت سربا ما يفزع وحشه * من بين سرب ناوئ وكنوس *

ناوئ سمين يقال نوئ اى سمن والسمين يجوز ان يكون كانسا والكانس يجوز ان يكون سمينا وهزيلا واما الاقسام التي يترك بعضها مما لا يحتمل الواجب تركه

﴿ فمثل قول جرير في بني حنيفة ﴾

* صارت حنيفة اثلاثا فثلثهم * من العبيد وثلث من مواليها *

فبلغني ان هذا الشعر انشد في مجلس ورجل من بني حنيفة حاضر فيه فقيل له من ايهم انت فقال من الثلث الملغى ذكره

﴿ ومن عيوب المعاني فساد المقابلات ﴾

من كان حافظا لما ذكرنا من صحة المقابلات في باب النعوت ظهرت له الحال في فسادها ظهورا اكثر وهو ان يضع الشاعر معنى يريد ان يقابله بآخر اما على جهة الموافقة او المخالفة فيكون احد المعنيين لا يخالف الآخر او لا يوافقه ﴿ مثال ذلك قول ابى على القرشي ﴾

* يا ابن خير الاخيار من عبد شمس * انت زين الدنيا وغيث الجنود *

فليس قوله وغيث الجنود موافقا لقوله زين الدنيا ولا مضادا وذلك عيب ﴿ ومنه قول هذا الرجل في مثل ذلك ﴾

* رحماء لذى الصلاح وضرابون قدما لهامة الصنديد *

فليس للصنديد في ما تقدم ضد ولا مثل ولعله لو كان مكان قوله الصنديد الشرير

لكان جيدا لقوله ذى الصلاح وللعدول عن هذا العيب غير الرواة قول امرئ القيس

* فلو انها نفس تموت سوية * ولكنها نفس تساقط انفسا *

فابدلوا فى مكان سوية جميعة لانه فى مقابلة تساقط انفسا أليق من سوية

﴿ ومن عيوب المعانى فساد التفسير ﴾

من كان ذاكرا لما قدمناه فى باب نعت هذا المعنى عرف الوجه فى عيبه مثال ذلك اذ جاءنى بعض الشعراء فى هذا الوقت وانا اطلب امثلة فى هذا الباب ليستفتينى فيه وهو

* فيا ايها الحيران فى ظلم الدجى * ومن خاف ان يلقاه بغى من العدى *
* تعال اليه تلق من نور وجهه * ضياء ومن كفيه بحرا من الندى *

وقد كان هذا الرجل يسمعنى كثيرا الخوض فى اشياء من نقد الشعر فيعى بعض ذلك ويستجيد الطريق التى اوضحها له فلما وقع هذان البيتان فى قصيدة له ولاح له ما فيهما من العيب ولم يتحققه صار الىّ وذكر انه عرضهما على جماعة من الشعراء وغيرهم ممن ظن ان عنده مفتاحا وان بعضهم جوزهما وبعضهم شعر بالعيب فيهما فذكرت له الحال فيهما واثبت البيتين فى هذا الموضع مثالا ووجه العيب فيهما ان هذا الشاعر لما قدم فى البيت الاول الحيرة فى الظلم وبغى العدى كان الجيد ان يفسر هذين المعنيين فى البيت الثانى بما يليق بهما فاتى بازاء الظلام بالضياء وذلك صواب وكان الواجب ان يأتى بازاء العدى بالنصرة او بالعصمة او بالوزر او بما جانس ذلك مما يحتمى به الانسان من اعدائه فلم يأت بذلك وجعل مكانه ذكر الندى ولو كان ذكر الفقر او العدم لكان ما اتى به صوابا وقد يتفرع من هذا الباب خطأان اذا وقعا فيه خرجا الى آخرين من ابواب عيوب الشعر احدهما ان يكون هذا الشاعر لو لم يأت بخلاف القسم الثانى مثلا بل تركه لدخل فى باب الخلل ولو لم يتركه بل اتى به وزاد عليه لدخل فى باب الحشو وقد ذكرنا هذين البابين فى مواضعهما

﴿ ومن عيوب المعانى الاستحالة والتناقض ﴾

وهما ان يذكر فى الشعر شئ فيجمع بينه وبين المقابل له من جهة واحدة والاشياء تتقابل على اربع جهات اما على طريق المضاف ومعنى المضاف هو الشئ الذى يقال بالقياس الى غيره مثل الضعف الى نصفه والمولى الى عبده والاب الى ابنه فكل واحد من الاب والابن والمولى والعبد والضعف والنصف يقال بالاضافة الى الآخر وهذه الاشياء من جهة ما ان كل واحد منهما يقال بالقياس الى غيره هى من المضاف ومن جهة ان كل واحد منها بازاء صاحبه كالمتقابل له فهى من المتقابلات فاما على طريق التضاد مثل الشرير للخير والحار للبارد والابيض للاسود واما على طريق العدم والقنية مثل الاعمى للبصير والاصلع وذى الجمة واما على طريق النفى والاثبات مثل ان يقال زيد جالس وزيد ليس بجالس فاذا اتى فى الشعر جمع بين متقابلين من هذه المتقابلات وكان هذا الجمع من جهة واحدة فهو عيب فاحش غير مخصوص بالمعانى الشعرية بل هو لاحق بجميع المعانى واعنى بقولى من جهة واحدة انه قد يجوز ان يجتمع فى كلام منظوم ومنثور متقابلان من هذه المتقابلات ويكون ذلك الاجتماع من جهتين لا من جهة واحدة ويكون الكلام مستقيما غير محال ولا متناقض مثال ذلك ان يقال فى تقابل المضاف ان العشرة مثلا ضعف وانها نصف لكن يقال انها ضعف الخمسة ونصف العشرين فلا يكون ذلك محالا اذا قيل من جهتين كما لو قيل فى انسان واحد انه اعمى العين بصيرها فلا محال وكذلك فى التضاد ان يقال للفاتر حار بالنسبة الى البارد وبارد بالنسبة الى الحار فاما عند احدهما فلا وفى النفى والاثبات ان يقال زيد جالس فى وقته الحاضر الذى هو جالس وغير جالس فى الوقت الآتى الذى يقوم فيه اذا قام فذلك جائز واما فى وقت واحد وحال واحدة جالس وغير جالس فلا ولهذه العلة يجوز ما يأتى فى الشعر على هذه السبيل مثل ما قال خفاف بن ندبة

* اذا انتكث الحبل ألفيته * صبور الخبار رزينا خفيفا *

فلو لم يرد انه رزين من حيث ليس هو خفيفا لم يكن مجوزا ﴿ ومثل ما قال الشنفرى ﴾

* فدقت وجلت واسبكرت واكملت * فلو جن انسان من الحسن جنت *

فانه انما اراد دقت من جهة وجلت من اخرى فاما لو كان اراد انها دقت من حيث جلت لم يكن جائزا وقد جاءنى الشعر من الاستحالة والتناقض ما لا عذر فيه وما جمع فى ما قيل فيه بين المتقابلات من جهة واحدة ومنه ما التناقض فيه ظاهر يعلم فى اول ما يلقى الى السمع منه ما يحتاج الى تنبيه على موضع التناقض ﴿ومما جاء فى ذلك على جهة التضاد قول ابى نواس فى الخمر﴾

* كأن بقايا ما عنا من حبابها * تفاريق شيب فى سواد عذار *

فشبه حباب الكاس بالشيب وذلك قول جائز لان الحباب يشبه به فى البياض وحده لا فى شئ آخر غيره ثم قال

* تردت به ثم انفرى عن اديمها * تفرى ليل عن بياض نهار *

فالحباب الذى جعله فى هذا البيت الثانى كالليل هو الذى كان فى البيت الاول ابيض كالشيب والخمر التى كانت فى البيت الاول كسواد العذار هى التى صارت فى البيت الاول الثانى كبياض النهار وليس فى التناقض له منصرف الى جهة من الجهات للعذر لان الاسود والابيض طرفان متضادان وكل واحد منهما فى غاية البعد عن الآخر فليس يجوز ان يكون شئ واحد يوصف بانه اسود وابيض الا كما يوصف الادكن فى الالوان بالقياس الى واحد من الطرفين الذى هو واسطة بينهما فيقال انه عند الابيض اسود * ولعل قوما يحتجون لابى نواس بان يقولوا ان قوله تفرى ليل عن بياض نهار لم يرد به لا ابيض ولا اسود لكن الذى اراده انما هو ذات التفرى وانحسار الشئ عن الشئ اسود كان او ابيض اوغير ذلك من الالوان فنقول من يحتج بهذه الحجة تبطل من جهات احداها ان الرجل قد صرح بانه لم يرد غير اللون فقط بقوله عن بياض نهار والثانية تشبيهه الحباب لا يشبه الشيب من جهة من الجهات غير البياض والثالثة ان الليل والنهار ليس هما غير الظلمة والضياء فيظن بالجاعل

لهما

لهما فى وصف من الاوصاف انه اراد شيئا آخر فان القائل مثلا فى شئ قد يتبرأ من شئ كما تتبرأ الشعرة من العجين قد يجوز ان يصرف قوله هذا على وجهين احدهما ان يظن انه اراد تبرئ الاسود من الابيض لان فى الشعرة والعجين جسما يجوز ان يتبرأ من جسم وسوادا وبياضا فاما الليل والنهار فليس هما غير سواد وبياض فقط فاما جسم يتبرأ من جسم فلا ◆ ومما جاء من الشعر فى التناقض على طريق المضاف قول عبد الرحمن بن عبيد الله القس

* فانى اذا ما الموت حل بنفسها * يزال بنفسى قبل ذاك فاقبر *

فقد جمع بين قبل وبعد وهما من المضاف لانه لا قبل الا لبعد ولا بعد الا لقبل حيث قال انه اذا وقع الموت بها وهذا القول كأنه شرط وصفة ليكون له جواب يأتى به وجوابه قوله يزال بنفسه قبل ذلك وهذا شبيه بقول قائل لو قال اذا انكسرت الجرة انكسر الكوز قبلها ومنزلة هذا التناقض عندى فوق منزلة جمع المتقابلين فى الشناعة لان هذا الشاعر جعل ما هو قبل بعدا ◆ ومما جاء فى الشعر على طريق القنية والعدم قول ابن نوفل

* لاعلاج ثمانية وشيخ * كبير السن ليس بذى ضرير *

فلفظة ضرير انما تستعمل وهى تصريف فعيل من الضر فى الاكثر للذى لا بصر له وقول هذا الشاعر فى هذا الشعر انه ذو بصر وانه ضرير تناقض من جهة القنية والعدم وذلك انه يقول ان له بصرا ولا بصر له فهو بصير اعمى فان قال قائل انه ضرير راجع الى البصر بانه اعمى فالعرب اولا انما تريد بضرير الانسان الذى قد لحقه الضر بذهاب بصره لا البصر نفسه وايضا فليس البصر هو العين التى يقع عليها العمى بل ذاك الابصار وذات الابصار لا يقال لها عمياء كما لا يقال ان حدة السيف كليلة بل انما يقال السيف كليل لان الحدة لا تكل وكذا البصر لا يعمى ولكنه فى توسع اللغة وتسمح العرب فى اللفظ جائز على طريق المجاز وقد جاء فى اقوى المواضع حجة وهو القرآن فى قوله عز وجل انها لا تعمى الابصار ولكنه اذا جاز فى البصر ان يقال اعمى فلا اراه يجوز

ان يقال فيه مضرور وارى ان مما يدخل فى هذا البيت من التناقض قول ابن هرمة

* تراه اذا ما ابصر الضيف كلبه * يكلمه من حبه وهو اعجم *

فان هذا الشاعر اقنى الكلب الكلام فى قوله يكلمه ثم اعدمه اياه عند قوله وهو اعجم من غير ان يزيد فى القول ما يدل على ان ما ذكره انما اجراه على طريق الاستعارة فان عذر هذا الشاعر ببعض المعاذير اذا كانت الحجج كثيرة فهلا قال كما قال عنترة

* فازور من وقع القنا بلبانه * وشكا الىّ بعبرة وتحمحم *

فلم يخرج الفرس عما له من التحمحم الى الكلام ثم قال

* لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى * ولكان لو علم الكلام مكلمى *

﴿ ومما جاء من الشعر على طريق الايجاب والسلب قول عبد الرحمن بن عبيد الله القس ﴾

* ارى هجرها والقتل مثلين فاقصروا * ملامكم فالقتل اعفى وايسر *

فاوجب هذا الشاعر للقتل والهجر انهما مثلان ثم سلبهما ذلك بقوله القتل اعفى وايسر فكأنه قال ان القتل مثل الهجر وليس هو مثله وارى ان هذا الشاعر اراد ان يقول بل القتل اعفى وايسر ولو قال بل لكان الشعر مستقيما لان مقام لفظة بل مقام ما ينفى الماضى ويثبت المستأنف لكنه لما لم يقلها واتى بجمع الاثبات ونفيه استحال شعره وليس اذا علمنا ان شاعرا اراد لفظة تقيم شعره فجعل مكانها لفظة تحيله وتفسده وجب ان يحسب له ما يتوهم انه اراده ويترك ما قد صرح به ولو كانت الامور كلها تجرى على هذا لم يكن خطأ وارى ان مما يجرى هذا المجرى قول يزيد بن مالك الغامدى حيث قال

* اكف الجهل عن حلماء قومى * واعرض عن كلام الجاهلينا *
* اذا رجل تعرض مستخفا * لنا بالجهل اوشك ان يحينا *

فقد اوجب هذا الشاعر فى البيت الاول لنفسه الحلم والاعراض عن الجهال ونفى ذلك بعينه فى البيت الثانى بتعديه فى معاقبة الجاهل الى اقصى العقوبات وهو القتل ❁ ولابى نواس ايضا شئ يشبه هذا وهو قوله ❁

* ولىّ عهد ما له قرين * ولا له شبه ولا خدين *
* استغفر الله بلى هارون * ياخير من كان ومن يكون *
* الا النبى المصطفى المأمون *

فصير هارون شبيها بولى العهد ولم يستثن بهارون فكأنه خير منه وليس خيرا منه لانه شبيهه او كشبيهه وليس بشبيهه لانه خير منه وهذا جمع بين النفى و الاثبات ◆ ومما يجرى هـذا المجرى وقد انكره الناس وعابوه قول زهير ابن ابى سلمى

* قف بالديار التى لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم *

❁ ومن عيوب المعانى ❁

ايقاع الممتنع فيها فى حال ما يجوز وقوعه ويمكن كونه والفرق بين الممتنع والمتناقض الذى تقدم الكلام عليه ان المتناقض لا يكون ولا يمكن تصوره فى الوهم والممتنع لا يكون ولكن يمكن تصوره فى الوهم ◆ ومما جاء فى الشعر وقد وضع الممتنع فى ما يجوز وقوعه قول ابى نواس

* يا امين الله عش ابدا * دم على الايام والزمن *

فليس يخلو هذا الشاعر من ان يكون تفاءل لهذا الممدوح بقوله عش ابدا امرا او دعاء وكلا الامرين مما لا يجوز ومستقبح ولعل معترضا يعترض هـذا القول منا فى هذا الموضع فيقول انه مناقضة لما استجزناه ورايناه صوابا فى صدر هذا الكتاب من الغلو ويجعل قول ابى نواس هذا غلوا فيلزمنا تجويزه كما فصلنا تجويز الغلو ونحن نقول ان هذا وما اشبهه ليس غلوا ولا افراطا بل خروجا عن حد الممتنع الذى لا يجوز ان يقع لان الغلو انما هو تجاوز فى نعت ما

* لا يرمضون اذا حرت مشافرهم * ولا ترى منهم فى الطعن ميالا *
* ويفشلون اذا نادى ربيئهم * ألا اركبن فقد آنست ابطالا *

فاراد ان يقول ولا يفشلون فحذف لا فعاد الى الضد ﴿ومن عيوب هذا الجنس﴾ عكس العيب المتقدم وهو ان يزيد فى اللفظ ما يفسد به المعنى مثال ذلك قوله

* فما نطفة من مآء نحض عذبة * تمنع من ايدى رقاة ترومها *
* باطيب من فيها لو انك ذقته * اذا ليلة اسجت وغارت نجومها *

فقول هذا الشاعر او انك ذقته زيادة توهم انه لو لم يذقه لم يكن طيبا

﴿ عيوب ائتلاف اللفظ والوزن ﴾

﴿ منها الحشو ﴾ وهو ان يحشى البيت بلفظ لا يحتاج اليه لاقامة الوزن مثال ذلك ما قال ابو عدى العبشمى

* نحن الرؤس وما الرؤوس اذا سمت * فى المجد للاقوام كالاذناب *

فقوله للاقوام حشو لا منفعة فيه ﴿ وقال مصقلة بن هبيرة ﴾

* ألكنى الى اهل العراق رسالة * وخص بها حييت بكر بن وائل *

فقوله حييت حشو لا منفعة فيه ﴿ ومنها التثليم ﴾ وهو ان يأتى الشاعر باشياء يقصر عنها العروض فيضطر الى ثلمها والنقص منها مثال ذلك قول امية ابن ابى الصلت

* ما ارى من يغيثنى فى حياتى * غير نفسى الا بنى اسرال *

﴿ وقال فى هذه القصيدة ﴾

* ايما شاطن عصاه غداه * ثم تلقى فى السجن والاكبال *

﴿ وقال علقمة بن عبدة ﴾

* كأن ابريقهم ظبى على شرف * مقدم بسبا الكتان ملثوم *

اراد بسبائب الكتان فحذف للعروض ﴿ وللبيد ﴾ *درس المنا بمتالع فابانا * اراد بالمنا بالمنازل

ومنها

﴿ ومنها التذنيب ﴾ وهو عكس العيب المتقدم وذلك ان يأتي الشاعر بالفاظ تقصر عن العروض فيضطر الى الزيادة فيهـا مثل ما قال الكميت

* لا كعبد المليك او كيزيد * اوسليمان بعد او كهشام *

فالملك والمليك اسمان لله عز وجل وليس اذا سمى انسان بالتعبد لاحدهما وجب ان يكون مسمى بالآخر كما انه ليس من سمى عبد الرحمن هو كمن سمى عبـد الله ﴿ ومن هـذا الجنس التغيير ﴾ وهو ان يحيل الاسم من حاله وصورته الى صورة اخرى اذا اضطره الوزن الى ذلك كما قال بعضهم يذكر سليمان عليه السلام * ونسج سليم كل قضاء ذائل * وكما قال آخر * من نسج داود ابى سلام * ﴿ ومنه التعطيل ﴾ وهو ان لا ينتظم نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض فيقدم ويؤخر كما قال دريد بن الصمة

* وبلغ نميرا ان عرضت ابن عامر * فاى اخ فى النائبات وصاحب *

ففرق بين نمير بن عامر بقوله ان عرضت وكما قال ابو عدى القرشي

* خير راعى رعية سره الله هشام وخير مأوى طريد *

﴿ عيوب ائتلاف المعنى والوزن معا ﴾

﴿ منها المقلوب ﴾ وهو ان يضطر الوزن الشاعر الى احالة المعنى وقلبه الى خلاف ما قصد به ﴿ مثال ذلك لعروة بن الورد ﴾

* فلو انى شهدت ابا سعاد * غداة غدا بمهجته يفوق *

* فديت بنفسه نفسى ومالى * وما آلوك الا ما اطيق *

اراد ان يقول فديت نفسه بنفسى فقلب المعنى ﴿ وللحطيئة ﴾

* فلما خشيت الهون والعير ممسك * على رغمه ما اثبت الحبلُ حافره *

اراد الحبلَ حافره فانقلب المعنى ﴿ ومنها المبتور ﴾ وهو ان يطول المعنى عن ان

يحتمل العروض تمامه فى بيت واحد فيقطعه بالقافية ويتمه فى البيت الثانى مثال ذلك قول عروة بن الورد

* فلو كاليوم كان علىّ امرى * ومن لك بالتدبر فى الامور *

فهذا البيت ليس قائما بنفسه فى المعنى ولكنه اتى بالبيت الثانى فقال

* اذا لملكت عصمة ام وهب * على ما كان من حسك الصدور *

فالمعنى فى البيت الاول ناقص فأتمه فى البيت الثانى

﴿ عيوب ائتلاف المعنى والقافية ﴾

﴿ منها ﴾ ان تكون القافية مستدعاة قد تكلف فى طلبها فاستعمل معنى سائر البيت مثل ما قال ابو تمام الطائى

* كالظبية الادماء صافت فارتعت * زهرا بدار الغض والجثجاثا *

فجميع هذا البيت مبنى على طلب هذه القافية والا فليس فى وصف الظبية بانها ترتعى الجثجاث كثير فائدة لانه انما توصف الظبية بانها ترتعى الجثجاث اذا قصد نعتها باحسن احوالها بان يقال انها تعطو الشجرة لانها حينئذ تكون رافعة رأسها وتوصف بان ذعرا يسيرا قد لحقها كما قال الطرماح

* مثل ما عاينت مخروفة * نصها ذاعر روع مؤام *

فاما بان ترتعى الجثجاث فلا اعرف له معنى فى زيادة الظبية من الحسن لا سيما والجثجاث ليس من المراعى التى توصف بان ما يرتعى يؤثره ﴿ ومن عيوب هذا الجنس ﴾ ان يؤتى بالقافية لان تكون نظيرة لاخواتها فى السجع لا لان لها فائدة فى معنى البيت كما قال على بن محمد البصرى

* وسابقة الاذيال زغف مفاضة * تكنفها منى النجاد المخطط *

فليس لان يكون هذا النجاد مخططا صنع فى صفة الدروع وتجويد نعتها ولكنه اتى من اجل السجع ﴿ ومن هذا الجنس ﴾ قول ابى عدى القرشى

ووقيت

* ووقيت الحتوف من وارث وال وابقاك صالحا رب هود *

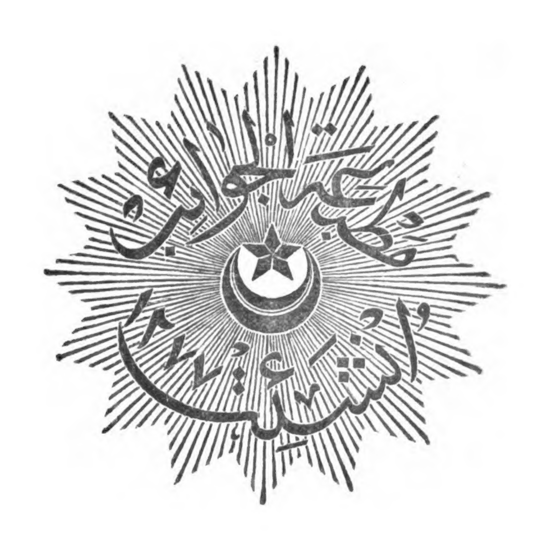
فليس نسبة هذا الشاعر الله عز وجل الى انه رب هود باجود من نسبته الى انه رب نوح ولكن القافية كانت دالية فاتى بذلك للسجع لا لافادة معنى بما اتى منه

والله اعلم

﴿ تم نقد الشعر والحمد لله فى ختام جمادى الاولى من سنة ١٣٠٢ ﴾

﴿ هجرية فى مطبعة الجوائب بالاستانة العلية ﴾




مطبعة الجوائب
اُنشئت ١٢٧٧

